أُسْوَتُنا الحَسَنَةُ

محمد صلى الله عليه وآله وسلّم

بقلم
يحيى غالي ياسين

{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }

الاحزاب ٢١

مقدمة وتمهيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق اجمعين ، محمد وآله الطاهرين ..

عقيدتنا برسول الله ، نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله ، أنه على رأس قائمة الإنسانية ، بل تسيّده وعلوّ كعبه على الخلق أجمعين ، فهو سيد الكائنات ، وأشرف المخلوقات ، (**وأشهد أنه سيد الأولين والآخرين ، وأنه سيد الأنبياء والمرسلين**) كما في زيارته سلام الله عليه ..

ومن هذه الحقيقة نُدرك بعض منطلقات ذلك التوجيه الرباني في كتابه العزيز (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**)[1] ، فالمفضول يتبع الفاضل ، والجاهل يتبع العالِم ..

ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام وهو يحثّ على التأسي برسول الله صلوات الله عليه : [**تَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ صلى الله عليه وآله وسلم فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى ، وعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى ، وأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ ، والْمُقْتَصُّ لأَثَرِهِ . قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً ، ولَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً ... ولَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه**

[1] الأحزاب ٢١

وآله وسلم مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وعُيُوبِهَا : إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ ، وزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ : أَكْرَمَ اللهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ ..؟ فَإِنْ قَالَ : هَانَهُ ، فَقَدْ كَذَبَ - واللَّهِ الْعَظِيمِ - بِالإِفْكِ الْعَظِيمِ ، وإِنْ قَالَ : أَكْرَمَهُ ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ ، وزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ . فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ ، واقْتَصَّ أَثَرَهُ ، ووَلَجَ مَوْلِجَهُ ، وإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ ، فَإِنَّ الله جَعَلَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم عَلَماً لِلسَّاعَةِ ، ومُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ، ، ومُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ . خَرَجَ منَ الدُّنْيَا خَمِيصاً ، ووَرَدَ الآخِرَةَ سَلِيماً ، لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ . فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ ، وقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ] .

فالتأسي برسول الله يعني اتّباع آثاره وإطاعة أوامره وتكرار ما يمكن تكراره من تفاصيل النسخة المحمدية ، لأن شخصية محمد صلوات الله عليه الكاملةً غير قابلة للتكرار – اذا جاز القول - ، ولعل هذا هو سبب وجود حرف الجر (في) في قوله تعالى (**ولكم في رسول الله أسوة حسنة**) .. فتأمل .

وعليه فإنّ الاستجابة لهذا النداء القرآني يختلف قوّة وضعفاً من شخص الى آخر بحسب عمق الوعي بهذه العقيدة وقوّة الإيمان بهذه الحقيقة الالهية مع مقدار مستوى الهمّة وشحذ العزيمة اتجاه نداءات هذا الوعي وهذا الإيمان بشخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم .

والتأسي يحتاج الى تحضيرات مهمّة ، ومنها .. أن يكون الرسول محمد حاضراً عندنا ، حاضراً في الباطن والظاهر ، في الوعي والسلوك ، متربّعاً على عرش كل حركة وسكنة نقوم بها .. من هنا نجد أن الإهتمام بإحياء مناسباته وتعظيم كل ما يتعلق به صلوات الله عليه من الأهمية بمكان ، فنحن إذا لم نذكره عند يوم مبعثه مثلاً أو

عند وفاته او في مناسباته الأخرى ، كولادته ويوم هجرته وأيام جهاده .. كيف سيكون حاضراً عندنا في غيرها .. !!

وهكذا ينبغي أن يكون صلوات الله عليه حاضراً في كتاباتنا ومعاهدنا العلمية والثقافية والاكاديمية ، أن نجده كلمةً تلقى على منبر يستمع اليها الجمهور ، ودرساً يتلقاه الطلبة ، وكتاباً يطالعه القارىء ، وبرنامجاً على الفضائيات يشاهده المتابع .. أن نجد أخلاقه وسماته عند القائد وعند الاستاذ وعند الأب .. هذه الشخصية الربانية تستوعب البشرية جميعاً ، بكل مواقعهم ووظائفهم ومسؤولياتهم ، لم يكن صلوات الله عليه حكراً لأحد ، ولا يقتصر الاقتداء على الجانب الديني والروحي ، فهو نبي الإنسانية ورسول الحياة والقائد نحو سعادة البشرية في الدارين ..

هذه كلمات ومقالات ومنشورات كتبتها في مناسبات نبوية مختلفة ، بعضها كُتب لندوة معينة ، وبعضها كُتب ليُنشر على مواقع على الانترنت او على مجاميع وحسابات في التواصل الاجتماعي .. جمعتها في هذه الوريقات عسى أن ننال بها رضا الله ورضا رسوله ورضا أهل بيته .. وكذلك رضا القارىء الكريم .. ومن الله السداد والتوفيق .

مع الرسول الأكرم (ص وآله) في بعثته

توطئة : من أعظم المُنح الإلهية على الإنسان بعد منحة ونعمة الوجود هو بعث النبوّات وإرسال الرسالات بين بني البشر .. فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام : **" قل ما أوّل نعمة أبلاك الله عزَّ وجلَّ وأنعم عليك بها ؟ قال : أنْ خلقني جلّ ثناؤه ولم أك شيئاً مذكوراً ، قال : صدقت "**[2] . وقال تعالى مشيراً الى نعمة النبوّة : (**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ ..**)[3] ، وقال تعالى (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**)[4] .

فالنبوة (**والتي هي الإخبار عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر**) تعتبر العقل الإلهي المدبّر للإنسان في معاشه ومعاده ، وبواسطتها تتصل البشرية بأعلى المعارف وأصدق العلوم ، وعن طريقها تستطيع ان تكتشف الحكمة من خلقها والغاية من وجودها على هذه البسيطة .. ، قال تعالى (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً**

---

[2] تفسير نور الثقلين ، الشيخ الحويزي ، ج٤ ، ص٢١٤

[3] المائدة ١٢٠

[4] الانبياء ١٠٧

مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[5] .

انكشف للإنسان من الحقائق بالنبوّات ما لا ينكشف له بأي وسيلة غيرها ، قال تعالى (**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**)[6] ، وهذه الصعوبة ان لم تكن على نحو أصل الإمكانية والاستعداد فإنها تكمن في صعوبة الهداية واستثمار تلك المؤهلات الذاتية ، أضف الى ذلك ان الرسالات جاءت بأقصر الطرق للغايات وبأقل المجهودات ..

ثم ان النبوّة خير ما يُبث بها روح العزيمة عند الإنسان وأفضل ما تُشحذ به الهمم .. ، قال تعالى (**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ۖ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**)[7] . ومن خلال النبوّة يصبح العمل نحو الاهداف جماعياً ومركّزاً وممنهجاً بصورة أكثر ..

فوفرت النبوّات للإنسان المادة التي يحتاجها (معارف وحكم وحقائق) ووفرت الآليات والوسائل والطرق التي تساعده في استثمار واستعمال تلك المواد (شرائع) ، وجاءت بما يبعث روح الهمة والعزيمة (الثواب والعقاب) ..

نعود لأصل الموضوع :

عندما نجري مقارنة بين بعثات انبياء الديانات السماوية الثلاث الكبرى (اليهودية والمسيحية والإسلام) ، نجد ثمّة اختلافات مهمّة

---

[5] الجمعة ٢

[6] العلق ٣ ـ ٥

[7] الأنعام ٤٨

يمكن للباحث والمختص أن يستنتج منها الكثير من الحقائق والمعارف ، وسنشير هنا الى ثلاثة اختلافات واضحة ونترك ما تبقى كمادة دسمة للبحث والاستنتاج :

١. اقترن نزول القرآن الكريم مع البعثة النبوية المباركة - مع بدء اعلان النبوّة - في حين لم نجد بداية نزول الكتب السماوية (التوراة والانجيل) قد اقترن مع بداية اعلان نبوّة موسى وعيسى عليهما السلام .

ففي (٢٧ من رجب) كان المبعث النبوي الشريف وبداية نزول أول آية من القرآن الكريم - اقرأ بإسم ربك الذي خلق .. - في حين نزلت التوراة على موسى عليه السلام في طور سيناء بعد ان أعلن قبل ذلك نبوّته في مصر وجرت أحداث كثيرة هناك وخرج منها مع قومه - بنو اسرائيل - ولحقهم فرعون وبعد هلاك الأخير وجيشه وذهاب موسى ومن اختارهم الى الميقات .. وهناك نزلت الألواح التي فيها شرائع التوراة وقوانينه كما يقول صاحب تفسير الأمثل في (ج 5 - ص 214) .

وأما نبوّة عيسى عليه السلام فكانت قبل الانجيل بكثير ، حيث أعلن نبوّته وهو عليه السلام طفلاً في مهد أمّه : (**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**)[8] ، و(**آتاني الكتاب**) هنا إخبار بما سيقع كما في التفسير .

٢. اختلاف في المبعوث اليهم في أول الأمر ، فبُعث الرسول الاكرم في البدء الى عشيرته الاقربين (**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**)[9] ، وأما نبي الله موسى ع فأُرسل أول الأمر الى فرعون (**اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ**

---

[8] مريم ٢٩ ، ٣٠

[9] الشعراء ٢١٤

إِنَّهُ طَغَىٰ)[10] ، وأما عيسى عليه السلام فأُرسل الى بني اسرائيل خاصة (**وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ**)[11] ، وهم يومئذ مجتمع موحِّد اولاً (على دين التوحيد) وينتسب اليهم نسبياً من جهة أمه ثانيا ..

٣. الطريقة التي نزل بها كل كتاب ، فالقرآن الكريم كان يقرأه جبرائيل عليه السلام على النبي محمد ص وآله (**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**)[12] ، والتوراة نزلت على شكل الواح مكتوبة (**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ**)[13] ، وأمّا الإنجيل فهو - على رأي - : ما دوّنه أصحاب عيسى ع بعده من أقوال ووصايا وافعال .

الاستنتاجات :

ذكرنا في أعلاه ثلاثة اختلافات واضحة بين بدء بعثات انبياء الديانات السماوية الكبرى (اليهودية والمسيحية والإسلام) ، وقلنا أن ثمّة استنتاجات معرفية مهمّة يمكن للباحث ان يستنتجها من هذه الاختلافات ، وسنحاول نحن بدورنا أن ننتزع استنتاجين مهمّين هنا ، وهما :

١. ان الإيمان والتصديق بالإنجيل والتوراة لم يكن ذاتياً وانما جاء تبعاً للتصديق بنبوّة موسى وعيسى عليهما السلام السابقة لنزول

---

10 طه ٢٤

11 ال عمران ٤٩

12 الشعراء ١٩٣

13 الأعراف ١٤٥

كتبهما المقدّسة ، فبعد أن ثبتت نبوتهم بالمعجزات والآيات نزلت كل من التوراة والإنجيل ، فالإيمان بهما من تحصيل الحاصل .. بينما يختلف الأمر مع القرآن الكريم ، حيث ساعد اقتران القرآن مع بعثة النبي على التصديق بنبوّته صلوات الله عليه ، فالقرآن هو معجزة نبي الإسلام والحجّة الدامغة على نبوّته ولم تكن التوراة والإنجيل كذلك . فمعاجز نبوّة رسلهما كانت آيات أخرى فصلّها القرآن الكريم لنا ، قال تعالى (**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا**)[14] ، وقال تعالى في عيسى ع (**وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**)[15] ..

من هنا نستنتج قوّة وقداسة وعلوّ كعب نصّ القرآن الكريم على نصوص كل من التوراة والإنجيل ، ففي القرآن إثبات النبوّة ، وأي نبوّة .. أكمل واشرف النبوّات ، النبوّة الخاتمة .

٢. بعثة الرسول محمد في انطلاق الرسالة كانت الى عشيرته ، وموسى الى ملك ورئيس دولته ، وعيسى الى أهل ديانته .. يبيّن لنا ذلك الحالة الاجتماعية المؤثرة في المجتمع الذي بُعثوا اليه .. فالقَبلية والعصبية والعشائرية كانت سلاحاً فتاكاً ومؤثراً للرجل في وقت نبي الاسلام صلوات الله عليه وبدونها لا يستطيع أن ينهض بأي مهمة فضلاً عن الرسالة السماوية .. بينما كانت مصر دولة ولها رئيسها وسلطتها وقوانينها ، والتمرد فيها مجازفة وغير مجدية في ظل سلطة

---

14 الاسراء ١٠١

15 ال عمران ٤٩

قوية وظالمة ومتجبرة مثل سلطة فرعون ، فالبدء من الاعلى الى الادنى هو الاجدى .. وأما عيسى ع فهو مُرسل الى مجتمع ينتسب اليهم من أمّه ولم يأت بدين وعقيدة جديدة وانما جاء بشريعة وتعاليم ووصايا جديدة .

وهذا قد يستفاد منه : أن الدعوات الدينية ينبغي لها ان تستثمر في أول أمرها العوامل المؤثرة في مجتمعها وتنهض بها في رسالتها ومهمتها ..

ويستطيع المتأمّل أن يجد فوائد في بعض الفوارق (والتشابه) في بعثة انبياء الديانات الثلاث ونزول كتبها المقدّسة ، كنزول الواح موسى ع مكتوبة ونزول القرآن مقروءا ، وكنزول كل من التوراة وأول القرآن على جبل (الطور والنور) .. الخ .

**

ومن مجموعة أخبار وتحليلات تاريخية ، يمكننا القول على نحو الاحتمال العلمي والمنطقي - وربما الجزم - أن يوم ٢٧ رجب هو موعد لبداية نزول القرآن الكريم والبدء بشريعة الإسلام وليس بدايةً لنبوّة محمد صلوات الله وسلامه عليه .. ولنقل هو موعد انطلاق رسالة الإسلام على يد الرسول محمد ص وآله ، وسننقل هنا بعض الإشارات مما ذكره بعض الأعلام حول مسألة نبوّة الرسول قبل بعثته :

+ فصّل العلامة المجلسي - رحمه الله - في مسألة نبوّة الرسول الكريم صلوات الله عليه قبل البعثة وأثبتها نقلاً وعقلاً في كتابه بحار الأنوار في الجزء ١٨ من ص ٢٧٧ وما بعدها .. ومما قاله العلامة

المجلسي هناك : فاعلم أن الذي ظهر لي من الأخبار المعتبرة ، والآثار المستفيضة هو أنه (صلى الله عليه وآله) كان قبل بعثته مذ أكمل الله عقله في بدو سنّه نبيّاً مؤيداً بروح القدس ، يكلّمه الملَك ، ويسمع الصوت ، ويرى في المنام ، ثم بعد أربعين سنة صار رسولا ، وكلّمه الملك معاينة ، ونزل عليه القرآن ، وأمر بالتبليغ ، و كان يعبد الله قبل ذلك بصنوف العبادات إما موافقاً لما أمر به الناس بعد التبليغ وهو أظهر ، أو على وجه آخر ، إما مطابقا لشريعة إبراهيم (عليه السلام) ، أو غيره ممن تقدّمهُ من الأنبياء عليهم السلام لا على وجه كونه تابعاً لهم وعاملا بشريعتهم ، بل بأن ما أوحي إليه (صلى الله عليه وآله) كان مطابقا لبعض شرائعهم ، أو على وجه آخر نسخ بما نزل عليه بعد الإرسال ، ولا أظن أن يخفى صحّة ما ذكرت على ذي فطرة مستقيمة ، وفطنة غير سقيمة .

+ العلاّمة محمد حسين الطباطبائي يقول : في تفسير قوله تعالى : ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى** ﴾ يقول : وسياق الآيات ـ على تقدير كون السورة أول ما نزل من القرآن ، ونزولها دفعة واحدة ـ يدل على صلاة النبي قبل نزول القرآن ، وفيه دلالة على نبوته قبل رسالته بالقرآن .

+ قال ابن ابي الحديد في شرح النهج وفي معرض تعليقه على قول أمير المؤمنين ع (**فإني ولدت على الفطرة**) : وقد جاء في الأخبار الصحيحة أنه ص وآله مكث قبل الرسالة سنين عشراً يسمع الصوت ويرى الضوء ولا يخاطبه أحد ، وكان ذلك إرهاصاً لرسالته عليه السلام ، فحكم تلك السنين العشر حكم أيام رسالته ص فالمولود فيها إذا كان في حجره وهو المتولي لتربيته مولود في أيام كأيام النبوة وليس بمولود في جاهلية محضة ففارقت حاله حال من يدعى له من

الصحابة مماثلته في الفضل وقد روي أن السنة التي ولد فيها علي عليه السلام هي السنة التي بدئ فيها برسالة رسول الله ص وآله فأسمع الهتاف من الأحجار والأشجار وكشف عن بصره فشاهد أنواراً و أشخاصاً ولم يخاطب فيها بشيء وهذه السنة هي السنة التي ابتدأ فيها بالتبتل والانقطاع والعزلة في جبل حراء فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة وأنزل عليه الوحي وكان رسول الله ص وآله يتيمن بتلك السنة وبولادة علي ع فيها ويسمّيها سنة الخير وسنة البركة وقال لأهله ليلة ولادته وفيها شاهد ما شاهد من الكرامات و القدرة الإلهية ولم يكن من قبلها شاهد من ذلك شيئاً : لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة وكان كما قال ص وآله فإنه عليه السلام كان ناصره والمحامي عنه وكاشف الغمّاء عن وجهه وبسيفه ثبت دين الإسلام ورست دعائمه وتمهدت قواعده .

+ وعن ميسرة الفجر قال : قلت : يا رسول الله متى كنت نبيا ؟ قال : **" كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد "** ، رواه الإمام أحمد والبخاري في التاريخ والطبراني والحاكم وصححه وقال الحافظ الهيثمي في رجال احمد والطبراني : رجالهما رجال الصحيح .

وعندما يتحصّل لنا ذلك ، يمكننا القول ان ٢٧ رجب ليس يوماً لتتويج النبوّة في الإسلام وإنما هو يوم بدء نزول القرآن على النبي محمد والبدء في رسالته .. والفرق واضح ودقيق ..

مع الرسول (ص وآله) في سيرته
(مغازي الرسول)

كانت الكتابات التي تتحدث عن سيرة الرسول ص واله تسمّى ب (المغازي) جمع غزوة ، ولعلّ أول من سمّى كتابته بالسيرة النبوية هو ابن هشام في تهذيبه لمغازي ابن اسحق ، حيث يقول في مقدمة كتابه : هذا كتاب سيرة رسول الله ..

وكما هو معروف إسلامياً أنّ مغازي الرسول (غزواته) هي الجزء الأخير من السيرة - في المدينة - ولكن لأنها تعتبر الأهمّ في بناء الدولة الإسلامية وهي محطّ فخر المسلمين وبها اجتمعت مناقبهم بحيث كانوا يحكونها لأولادهم وأحفادهم كما جاء في التأريخ .. أخذ هذا الإسم هذه الأهمية ..

ولقد كان المسلمون الأوائل يهتمون بمغازي (سيرة) الرسول ص وآله كإهتمامهم بالقرآن الكريم ، فعن الإمام زين العابدين ع : [**كنا نعلّم مغازي رسول الله (ص واله) كما نعلّم السورة من القرآن**] .

وأول الأمر - بحسب التتبع - لم تكن مغازي الرسول على هيئة كتابات ومخطوطات وإنما كانت على شكل روايات وحكايات تحفظها صدور الرجال وتتناقلها السنتهم ، حتى أُشتهر بعض

الصحابة في هذا المجال كعبد الله بن عباس ، وكان قد خصص يوماً للتحديث بالسيرة ويوماً للفقه ويوماً للتأويل ..

ثم جاء بعد ذلك عصر التدوين والتأليف في عصر التابعين ، فقيل أنّ أول من ألّف في السيرة هو عروة بن الزبير (93) للهجرة .

وسيرة (مغازي) الرسول ص وآله تشمل سنن الرسول وأخلاقه وأحداث حياته وبعثته ودعوته صلوات الله عليه وغزواته وما يتصل بذلك .. الخ ، وما يشمل الفترة من مولده وحتى وفاته ..

ولا شك أنّ أفضل وأدقّ وأصدق قراءة لسيرة النبي ص وآله هي قراءة القرآن الكريم وتدبّره ، فرسول الله هو قرآن يمشي على الأرض ، وكل قول او فعل يصدر عنه إنما يصدر عن وحي (**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**)[16] .

ولقد ذكر لنا القرآن المجيد أهمّ فصول السيرة والتي لها مدخلية في الإيمان بنبوته ورسالته المباركة من جهة أو ما يمكن الإقتداء والتأسّي به (كما أمرنا القرآن نفسه) من جهة أخرى ، وسواء ما تعلّق بحياته الخاصة ، مثل قوله تعالى (**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ**)[17] .. أو سماته الشخصية : (**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**)[18] ، (**وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**)[19] .. أو عبادته : (**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ**)[20] . أو

---

16 النجم ٣ ،٤

17 الضحى ٦ ، ٧

18 القلم ٤

19 من ال عمران ١٥٩

20 من المزمل ٢٠

فيما يتعلق بالبعثة والدعوة والرسالة والتبليغ ومجادلة المشركين والكافرين وحتى المسلمين ، أو الغزوات وبعض الأحداث .. الخ

ولهذا فإن أي سيرة يذكرها التأريخ وفيها مخالفة لسيرته المذكورة في القرآن الكريم يُضرب بها عرض الجدار كما ورد ، وأن اي سيرة نقرأها ولم تكن بدافع الإيمان بالرسالة او الالتزام بأوامرها وارشاداتها او الدفاع عنها او بدافع الاقتداء والتأسي به صلوات الله عليه لم تكن بتلك الأهمية ايضاً ..

النبي صلوات الله وسلامه عليه هو الإنسان الكامل بل الأكمل في الإسلام ، والأكمل في الإسلام هو الأكمل على الإطلاق ، ولهذا فإن الكتابة أو القراءة في سيرته المباركة ينبغي ان تنطلق من هذا المنطلق وتؤدي إليه .

والكتابات التي تناولت حياة الرسول ص وآله وسيرته المباركة كثيرة ، القديم منها والمعاصر ، وهي تقع على أنواع خمسة تقريباً :

1. كتابات تأسيسية اكثر مما هي تحليلية ، وهذه الكتابات تعتمد على الروايات والأخبار التاريخية الواردة حول حياة الرسول وسيرته ، مع إجراء تحقيق بصحة صدورها ومضمونها بشكل دقيق أو تحقيق بسيط ، فهي تاريخية فقط هدفها النقل والتوثيق لا غير . وهذا النوع يشمل أكثر الكتب القديمة في السيرة .

2. كتابات تحليلية ، حيث تعتمد على الكتابات التأسيسية وتقوم بالتحليل واستخراج ما بين السطور ، أخذ الدروس والعبر ، تربط بين الأحداث وتعلّل بعض الوقائع وتناقش بعض المواضيع والأحداث بجوانب إسلامية او فكرية او سياسية او اجتماعية .. الخ ، فهي لا تكتفي بالنقل والتوثيق التاريخي وانما تحاول ان تعطي قراءة جيدة مع الكتابة وبهذا توفر على القارىء المهتم كثيراً من الجهد ، فهي كتابات بحثية لا تدوينية ..

3. كتابات تتناول السيرة (التأسيسية أو التحليلية) بشكل تجزيئي ، بمعنى أنها تتناول تسلسل الأحداث حسب تسلسها الزمني ، حسب السنوات ، أو حسب الفترة (قبل البعثة وبعدها ، السرّية والعلنية ، المكية والمدنية ، قبل الفتح وبعده ..) بغض النظر عن تقارب او تباعد موضوعاتها ..

4. كتابات تتناول السيرة (التأسيسية أو التحليلية) بشكل موضوعي ، مثلاً : غزوات الرسول فقط ، مجادلات واحتجاجات الرسول فقط ، معاجز الرسول ، الدعوة السرية فقط .. الخ .

5. كتابات موسوعية ضخمة تتناول كل ذلك وأكثر (حسب إبداع الكاتب) ..

وبالتأكيد أن كل الكتابات مهمّة وضرورية ، وكل منها يقربنا خطوة نحو فهم السيرة والتأثر بها ..

ولا بدّ من تدوين بعض الملاحظات على كتابة الرواية التأريخية للسيرة النبوية ، والتي لا بد أن تؤخذ بنظر الإعتبار من قبل قارىء السيرة النبوية ، وخاصة الكتب القديمة منها :

م١ / عصر كتابة الروايات التأسيسية في السيرة النبوية وتدوينها كان متأخراً عن عصر حياة الرسول بكثير نسبياً ، فأول سيرة مدوّنة هي لأبن اسحق وهو متوفى في 153 للهجرة .. اي بعد وفاة الرسول بقرن ونصف تقريباً .. وعليه فتكون الرواية التاريخية الواردة خاضعة لمعايير السند والضبط والتحقيق قبل الأخذ بها مسلّمة .. وهذا ما دعى الطبري في مقدمة تأريخه يقول : (فما يكن في كتابي هذا من خبر ... أنه لم يوت في ذلك من قبلنا وانما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا وانا انما أدينا ذلك على نحو ما أدي الينا) .

م٢ / التأريخ المنقول متأثّر بالسلطة الحاكمة والذوق السائد لعصر الكتابة فضلاً عن عقيدة واتجاه الكاتب .. وهذا ما جعل ابن هشام في تهذيبه لسيرة ابن اسحق أن يُخفي حقائقاً كثيرة معلّلاً بذلك سخط العامة أو عدم قناعته بما هو منقول أو غرابة ما ذكره ابن اسحق وهذا كله خلاف الأمانة العلمية ..

م٣ / لم يعتن رواة التأريخ بالروايات (سنداً وضبطاً للنص) كما هو اهتمام رواة الحديث به ، ولهذا نجد أن الرواية التاريخية أقل قيمة علمية من رواية الحديث .

م٤ / لابدّ من الانتباه الى أن الكثير من الروايات التاريخية في السيرة تبدو أنها متعددة في أكثر من مصدر وبالتالي تبدو وكأنها متواترة أو مسنفيضة ، في حين نجدها عند التتبع انها تعود لمصدر واحد قد أخذت منه ، وهذا ما يضعف الرواية التاريخية اكثر ..

م٥ / نقص حاد في مادة السيرة المنقولة قياساً وعمر الرسول ص واله واختفاء بعض التفاصيل المهمة عمداً أو بغير عمد .. **!** أضف الى ذلك أن الكاتب التاريخي لا يبذل جهده في تقوية وتضعيف بعض الأخبار باعتباره أقرب لعصر الأحداث والأكثر اطلاعاً على ادلتها وقرائنها .. وهذا مما صعّب المهمة على القارىء والباحث ..

ونقاط اخرى نتركها للقارئ اللبيب

قارئُ السماء

تتفق معي أن القراءةَ والكتابة ، طرق التعليم ووسائل الوعي والثقافة ، التجارب والخبرات وصقل المواهب والمهارات .. هي أدواتٌ وطرق لإكتساب المعرفة ، وهي في أعلى قيمتها تُعتبر علوماً آلية لا غائية ، بمعنى أنها تُدرس لغيرها لا لذاتها ، وهي بالتالي عبارة عن وسائل متيّسرة لغايات وأهداف ونتائج مرجوّة ترفع من قدر الإنسان وتعينه على إدارة أموره وترتيب شؤونه بأفضل وجه ممكن .

والسؤال هو : مَن كان يمتلك تلك المعارف وحاصل على غايات تلك الأدوات والآلات المعرفية وحاصل على تلك النتائج والكمالات ولكن من غير استعمال لتلك الوسائل والأدوات ، ولم يستثمر تلك الطاقات ، كيف يمكنك تفسير ظاهرته هذه غير التقليدية وحالته الإستثنائية ؟!

هكذا هو رسولنا الكريم صلوات الله عليه ، لم يقرأ كتاباً ، ولم يتخذ استاذاً ، ولم يُعرف له طريق معرفي تقليدي ، رغم استوائه على أعلى درجات العلم والمعرفة والفراسة ، البلاغة والفصاحة والبيان ، الحلم والأدب والأخلاق ، التدبير والادارة والقيادة ، فهو المعلّم القدير ، والسراج المنير والبشير النذير ..!!

لم يكن صلوات الله عليه قارئاً أرضياً لتلك المعارف ، ولم يتخذ سبلها المتعارفة ومواردها الطبيعية ، بل كان يقرأ من السماء وتُقرِأهُ

السماء قراءةً لا تُنسى (**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ**) وتُشرف على معارفه التي يتلقاها بشتى فروعها ، كان يقرأ بإسم ربه الذي خلق ، ربه الأكرم ، الذي علّم بالقلم ، كان لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، أدّبه ربُّه فأحسن تأديبه ..

لم يتعقل البعض هذا الاستثناء ولم يتجرّع هذا التفرد والتميّز المعرفي للرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فحاول أن يعطي له تفسيرات تتناسب ومستواه المتدني (**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ)**[21] **..** وأنى لهم ذلك وقد (**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ**) . وبقولهم هذا فإنهم اساءوا لأنفسهم ولربهم ايضاً (**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ**)[22] .

ولا بد أن نعلم بأنه لم تنسدّ قراءة السماء ولم ينقطع التتلمذ تحت ظلّها **..!** ، لأنها وهبت لقارئها الكبير وتلميذها المجتهد كتاباً ليقرأه كل من يريد أن يتّبعه ويسير على نهجه ومناهجه ، وهو القرآن العظيم ، حينما نقرأ القرآن فإننا أيضا نقرأ في السماء ونتعلّم من علومها ، ولقد دُعينا لذلك بالتصريح لا بالتلميح (**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) و (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**)[23] ..

القراءة في كتب السماء تختلف عن قراءة كتب الأرض ، لأن كتب السماء تتميز عن كتب الأرض بميزات لا يبقى معها قياس ولا تناسب بين الطرفين ، كتب الأرض تحمل نقيضها معها وقد يثبت الواقع الاختلاف معها ، وكتب السماء لا تناقض نفسها ولا تختلف مع مضمونها شيء (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**) ، كتب الارض لا تخلوا من باطل وكتب

---

[21] النحل ١٠٣

[22] الأنعام ٩١

[23] محمد ٢٤

السماء لا باطل فيها (**لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**) .. فالفرق شاسع والبون واسع بوسع المسافة بين السماء والأرض ..

ولمّا كان الإنسان مدعوّ لأن يكون من قرّاء السماء ، فإن هذا يعني أن لديه الاستعدادات الكاملة لذلك ، وتتوفر عنده كل الإمكانيات والطاقات لأن يكون بهذه الصفة ..! فهو اذن مثقف على وجه القوّة والاستعداد بثقافة تستوعب عوالم أخرى خارج عالمه المحسوس والمُعاش (**علّمه شديد القوى**) .. تلك الثقافة وذلك العلم الذي لا يعتريه جهل ولا يزاحمه باطل .

كتب السماء – وأعظمها القرآن الكريم – هي الكتب التي تستطيع أن ترتقي بالإنسان الفرد والإنسان المجتمع الى مصافّ مجتمعات الملائكة ومجتمعات العصمة والتي تختفي بها كل مظاهر النقص والعيب الإنساني في هذه الدنيا .. هي الكتب التي تعكس رؤية وأفكار السماء على الأرض .

تتمة / الوحي من أهم مصادر المعرفة البشرية على الإطلاق ، لأنه يعمل ضمن مساحة معرفية تفوق امكانيات الإنسان الطبيعية والتي يمكن ان تصل إليها باقي مصادر المعرفة ، كالعقل والحس والتجربة وحتى الكشف والشهود .. قال تعالى (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**) ..

هذا من جانب السعة ، وكذلك من جانب الدرجة ، اي درجة العلم ، فمعلومته تأخذ أعلى درجات العلم واليقين ..

لا يعني هذا ان البشرية تستغني عن باقي مصادر المعرفة ، بل نجد أن الوحي نفسه (القرآن الكريم باعتباره كلاماً موحى للرسول

) يدعو في آيات عديدة الى استعمال العقل والحس والنقل ولكن بضوابطها وطرقها المنهجية والصحيحة ..

فحاز الإسلام اذن على جميع مصادر المعرفة واستعملها ودعا اليها وكل في مجاله وحقله المناسب ، ويختلف بهذا عن باقي الاتجاهات والايدولوجيات التي ضيّقت على نفسها بطريق معرفي واحد او اثنين وأهملت باقي المسالك ، وبهذا فهي قد خسرت كنوزاً من الحقائق والمعلومات ، وهدرت الكثير من الطاقات .. وهذه بعض آيات القرآن الكريم التي تحث على استعمال كل مصادر المعرفة المتاحة :

قال تعالى : (**قُلْ سِيرُوا فِي الأرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**) ، وقال تعالى : (**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ**) . ، وقال تعالى : (**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ**) ، وقال تعالى : (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**) .

من أيّام الشيعة : ١٩ جمادى الآخرة

(زواج عبدالله بن عبد المطلب من آمنة بنت وهب والدا الرسول الأكرم ص وآله)

أقدس زواج وأعظم إقتران عرفته البشرية ، ثمرتهُ هو سيد الكائنات ، وأثرهُ هو خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين ، فأكرِم به وأنعِم من زواج .

- **أمّا الزوجة فهي** : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركه بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .
- **أمّها** : بَرَّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركه بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

- **جدتها** : عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال السلمية ، وهي إحدى اللواتي أعتز بهن النبي (ص) : فقال : أنا ابن العواتك من سُليم .
- **وأمّا الزوج** فهو : عبد الله بن عبد المطلب ، وكفى أن ننسبه لولده ونقول هو أبو سيد الخلق محمد .

الزواج الميمون : يذكر لنا التاريخ أنّ عبد المطلب عندما كان ينقّب عن زمزم وواجهته قريش بالأذى - القصة التأريخية - نذرَ إن ولد له عشرة أولاد أن يذبح واحداً منهم لله عند الكعبة ، فلمّا صار له من الأولاد عشرة واقترع عليهم وقع السهم على عبد الله والد النبي (ص وآله) ، فتأسّى بجده الخليل إبراهيم (ع) ، ثم فدى ابنه عبد الله بمائة من الإبل .

ولما سلم عبد الله من الذبح ، قرر عبد المطلب تزويجه ، فأخذه إلى وهيب بن عبد مناف وهو عم آمنة بنت وهب وكانت تحت رعايته بعد أن مات أبوها ، وهي كما يقول ابن اسحاق في تأريخه أنها عندما خُطبت لعبد الله بن عبد المطلب : " كانت يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً "[24] ، فخطبها لولده عبد الله ، وخطب في الوقت نفسه إبنة وهيب وأسمها هالة لنفسه ، فزوّجه إياها ، فكان زواج عبد المطلب وعبد الله في مجلس واحد ، فولدت هالة لعبد المطلب حمزة ، وولدت آمنة لعبد الله محمداً فالحمزة (ع) هو عمّ النبي (ص) وابن خالته .

أمّا والدة عبد الله فهي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وهي والدة أبي طالب أيضاً ، وقد خصّ الله هذه السيدة

[24] السيرة النبوية ١ / ١٦٥

الجليلة بأن تكون جدة للنبي (ص) والوصي (ع) دون غيرها من زوجات عبد المطلب .

وهكذا شاء الله أن تكون هذه المرأة الطاهرة ـ آمنة بنت وهب ـ زوجة لعبد الله وأمّاً لسيد خلقه وخاتم أنبيائه ليكون أشرف الناس حسباً ، وأكرمهم نسباً ، فطهّره من الرجس ونقله من الأصلاب الشامخة إلى الأرحام المطهرة ، فكان خاتماً لأنبيائه وسيّداً لعباده ، فأصبحت من أكبر صانعات التأريخ كما تُعبّر بنت الشاطىء في كتابها (تراجم سيدة بنات النبوة) .

ينقل السيوطي في " الجامع الكبير " قولاً عن رسول الله - ص وآله - واصفاً به نسبه : **لَم يلتَق أبَوَاي قَطُّ عَلَى سِفَاح ، لمْ يزَلِ الله يَنْقُلُني مِن الأصْلاب الحَسَنةِ إِلىَ الأرْحَامِ الطَّاهِرَةِ مُصَفًّى مُهَذَّبًا لا تَتَشَعَّبُ شُعْبَتَانِ إلا كُنْتُ فِى خَيْرِهِمَا .**

توفي عبد الله بن عبد المطلب عند سفره الى الشام في تجارة ، وكانت آمنة بنت وهب حاملاً بجنينها العظيم ، شاء الله أن يكون هذا الزواج قصير المدة جداً - بضع شهور - ولكنه عظيم الأثر .. فيحق اذن الإبتهاج بهذا اليوم والتفوؤل به ، فهو يوم بناء أسرة ستنجب أعظم ذرية ، فيه من العبرة والمعاني العالية ما لا ينفد لمن أراد قال تعالى **{ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا }**[25] .

---

[25] من آية ١٧ سورة الرعد

الصفات القيادية للرسول الأكرم ص وآله

من إحدى توظيفات السماء للنبي محمد صلوات الله وسلامه عليه هي تقديمه كإنموذج للإنسان الكامل الذي على الناس وعيه وتقليده والاقتداء به .. وهذه طريقة متبعة في التعليم حيث يقوم المدرس او المعلم بدعم الشرح بالرسوم التوضيحية والمجسمات والنماذج والأشكال لتكون الفكرة واضحة للطالب .. وهكذا كان النبي صلوات الله وسلامه عليه .. فهو قرآن يمشي على الأرض وكان خلقه القرآن ..

ومن احدى أهم الأشياء حاجة لنا منه عليه السلام في أيّامنا هذه هي الصفات القيادية في زحمة القيادات الفاشلة التي تقودنا للأسف الشديد .. ومن هذه الصفات التي نقرأها في شخصية وسيرة الرسول هي :

□ **الحرص الشديد** : حرصه الشديد على تطبيق كل ما يؤمن به ويأمر به الآخرين وبشكل يكون هو في أعلى مستويات التطبيق الدقيق الى درجة نزلت فيه آية (**طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى**) ، وجاء في القرآن الكريم على لسان نبي الله شعيب مخاطباً قومه (**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا**

أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ)[26]. وكذلك حرصه منقطع النظير على إئتمار الآخرين وإمتثالهم لما جاء به من قبل الله جل وعلا وبذل اقصى الجهد من اجل هدايتهم حتى نزلت بذلك آيات قرآنية .. (**فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون**) وقال تعالى (**فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا**) (باخع : مهلك) ..

وهاتان الصفتان من اسرار القيادة الناجحة .. فلا نتوقع تفوّقاً لشخصٍ يقول ما لا يفعل ويعمل بما ينهى عنه ، وكذا على القائد ان يحرق نفسه من أجل ايصال معيّته الى حيث يقودهم والى حيث الأهداف المرجوّة من ادارته وقيادته لهم ..

□ **الإحتواء والأبوية** : وهاتان من صفات القائد الحاذق ، فالطرد والإقصاء والتعامل مع المعية بروح التسلط والإستعلاء من منغصّات الإدارة ومفشلاتها اذا جاز لنا التعبير .. هكذا كان صلوات الله عليه أبا للأمة (**يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة**) وهذا القرآن المجيد يقرر لنا أخلاق الرسول القيادية والإدارية والأبوية (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ**) (**وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ**) (**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**).. وغيرها من الصفات التي بها جمع رسول الله الأمة وجعل عروش كسرى وقيصر تهتز لها على عكس بعض قادة اليوم وساسة العصر المنفرّة للناس والممزّقة لهم كل ممزق ونرى كلماتهم تنزل على الشعب كأنها قنابل تقطعه إربا بدل أن يوحدوه ويجعلوه بنياناً واحدا ..فحري بهم أن يقتدوا برسول الله ص وآله ويقرأوا سيرته ..

---

[26] هود ٨٨

□**التخطيط والتوظيف :** فهما من أركان الإدارة الناجحة .. هذا ما قُرر في علم الإدارة وفن القيادة ، والتخطيط يعني رسم خارطة الإنتقال من المقدمات الى الأهداف ، والتوظيف هو اختيار الشخص المناسب للمهمة المناسبة :

وهاتان الصفتان واضحتان في قيادة النبي صلوات الله وسلامه عليه ، فكان واضحاً في مبدأه وحتى معاده وعلى المستوى الآني والستراتيجي ، ويتعامل مع الواقع ويحقق الاهداف الممكنة وبسير حثيث تارة ومتأن تارة أخرى ، وكانت معيته على دراية وإقتناع من ذلك وهذا ما قرره لهم القران الكريم (**قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله**) ، وأما في التوظيف فكان ناجحاً ايضاً لأنه صلوات الله عليه قد خبر اصحابه وأحاط بناسه ، وكان يميز المنافق عن غيره ويعلم بإستعدادات وقابليات كل شخص ، (**لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**) هذا مضمون القاعدة التي اختار بها الرسول ص وآله قائد فتح خيبر وهو علي ع .. وهذا خلق الهي قال به القران الكريم (**ما اشهدتهم خلق السماوات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا**) .. ولنعكس هذا الأمر على واقعنا ولننظر التخبّط الذي فيه بعض الساسة وعدم وضوح الرؤية لديهم وكذلك عدم تخلّيهم عن الطريقة الفاشلة في اختيار الشخصيات للمناصب والوظائف المعيّنة وكيف اوصلت بعض البلدان الى حافة الهاوية ..

الى غيرها من الصفات لمن أراد الاستقراء والتقصّي في هذه الشخصية العظيمة ..

رسول الله (ص) قدوتنا في الدعوة إلى الله تعالى

تحتاج البشرية في عصرنا الحاضر من أجل التخلص من مظاهر الإرهاب والحروب والفقر والتراجع الأخلاقي والتفكك في جميع الأواصر التي تربط الإنسان بأخيه الإنسان .. الخ تحتاج الى حالة العودة إلى الله سبحانه وتعالى ، والحل من كل تلك الأزمات منوط ومشروط بهذه العودة وهذا الاتصال مع المبدأ ..

والعودة هذه لا تحصل إلا أن تكون هنالك ظاهرة دعوة إلى الله تعالى ناجحة ومبتنية على أسس سليمة لكي تنتج ثمارها المرجوة وتربط العباد بخالقها ومنجيها ..

غير إننا نعيش في أزمة حقيقية في مسألة الدعوة إلى الله تعالى ، وهذه الأزمة منشقة إلى أمرين إثنين هما :

الأمر الأول : عدم وجود دعوة إلى الله تعالى أساساً وان وجد من يدعو إليه سبحانه فهم قليلون وبمرتبة العدم بالنسبة لعدد الذين ينبغي دعوتهم (مليارات البشر) .

الأمر الثاني : استعمال طرق وأساليب خاطئة في الدعوة إلى الله تعالى عند كثير من الداعين ، بل بعضها يعطي نتائجا سلبية كما هو الحال بإسلام داعش والسلفية واضرابهم .

وعليه .. تقع علينا مسؤولية تبنّي الدعوة إلى الله وتوفير العدد الكافي والمنهج المناسب ، وخير انموذج نقتدي به هو الرسول محمد

صلوات الله وسلامه عليه ، فهو سيد الداعين إلى الله قاطبة من أنبياء وأولياء وسائر المؤمنين والداعين إليه سبحانه ، فبأساليبه الدعوية استطاع أن ينشر الإسلام ويثبته في مجتمعات ضرب عليها الجهل اطنابه وأخذت العصبية والعادات والتقاليد البدوية السيئة مأخذها ، واستطاع أن يصل بهم إلى مستويات إنسانية راقية بوقت قياسي ..

ومما يمكن تسجيله على نحو العجالة في هذا المختصر هو بعض رؤوس الأقلام لأساليب الدعوة ، وبعض نقاط القوة عند النبي الاكرم ص وآله :

١/ كان صلوات الله عليه مؤتمراً بما يأمر به ومنتهياً عما ينهى عنه ، وليس ممن هو مصداق الآية الكريم (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**) .

٢/ كان على بصيرة من أمره ، وحتى من يتبعه يحمل هذه الصفة ولا يقبل بالاتباع الأعمى ، قال تعالى (**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**)[27] .

٣/ أخلاقه كانت اكسير دعوته وسر قبوله عند الآخر ، فهو من وصفته السماء (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) ، ويأمره تعالى (**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**)[28] .

٤/ التدّرج في الدعوة ، والتدرج شمل مستوى الافكار والأحكام والأوامر والنواهي التي يقدمها ، وكذلك شمل مستوى الشرائح والناس التي يدعوها ، حيث بدأ من عشيرته وأهله ومنهم إنطلق إلى باقي الناس .

---

27 يوسف ١٠٨

28 الشعراء ٢١٥

٥/ تعدد طرق ووسائل الإقناع ووسائل إيصال المعلومات .. فدعا سرا من خلال الاجتماعات السرية ودعا أيضا علانية ، دعا صمتاً من خلال عمله وفعله وكذا دعا جهراً وقولا .. استعمل الكرامات والمعجزات وكذا استخدم الطاقات البشرية المتوفرة في كل إنسان .. استعمل الترغيب وكذلك استعمل الترهيب .. الخ .

٦/ الحفاظ على المكتسبات ولو تطلب الأمر إلى الهجرة .. فتأمل

٧/ كان حريصاً على دعوة الآخر ويبذل أقصى جهده في سبيل هدايته حتى نزلت بحقه (**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**) ، ولا يكتفي بمجرد إسقاط فرض الدعوة وحصول مسمّاها كما يُقال ..

٨/ كان صبوراً على ما يلاقيه من أذى ومحتملاً لكل ما يواجهه من صد ومنعة ، فلا ييأس أو يجزع ممن يدعوه ، وكانت السماء تدعوه إلى هذا الأمر أيضا (**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ**) .

٩/ ما كانت دعوته لغرض مصالح دنيوية أو منافع شخصية ، ولم يطلب أجراً على رسالته ولا يريد مقابلاً في دعوته للآخرين وهدايتهم (**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**) .

هذه وغيرها هي نقاط أساسية ينبغي أن يتحلّى بها الداعي إلى الله جل وعلا مهما كان هذا الداعي ، فرداً أم أمة أم مؤسسة .. فليكن رسولنا الكريم قدوتنا في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا**) ..

محمد القرشي يختلف عن محمد الإسلامي

لو راجعنا حياة وصفات نبينا الاكرم صلوات الله وسلامه عليه من زاوية النظر القرشية ، أي كمواطن مكي – كما يُقال - ، فإننا سنجده مغايراً لشخصيته عندما ننظر اليها برؤية إسلامية وبعينٍ قرآنية (والاختلاف والتغاير هنا لا يعني التعارض والنقيض وانما نقصد أمراً سيتضح) ، وإن كانت نظرته العرفية نظرة ايجابية تميّزت بخصال كريمة وصفات جليلة ..

لأن الشخصية القرشية المكية مهما كانت حَسِنة ، إلا أنها نابعة عن نظرة عرفية واجتماعية معاصرة له ، ويبقى مستواها متواضعاً وعطاءها لا يفي بحق وشخصية الرسول الأكرم ، فالناس في العادة يقيسون منزلة وكرامة بعضهم البعض تبعاً للقوانين الخاصة التي وضعوها للتفاضل بينهم ، مثل نَسبهُ وشجاعته وكرمه وأمانته ، امكانيته المالية وقدراته اللسانية .. الخ ، اما الشخصية الاسلامية فحقيقتها أنها نابعة عن منزلة صاحبها عند الله تعالى .

فشخصية الرسول نقيسها ونعرفها من ذكر القرآن الكريم له ، ونعلم قدرها وحقَّها من المعتقدات الاسلامية المتعلقة به كنبي معصوم ورسول ، وتستند هذه المعرفة ايضاً على الاحكام الاسلامية التي تحدد العلاقة مع الرسول ورسالته حيّاً وميّتاً ..

نحن لا نأخذ شخصية النبي عن نظرة قرشية ، ولا نصفه كما يصفه قومه ، ولا ترتسم علاقتنا معه كما يرتسمها معاصروه

والمتعاطون معه معيشياً واجتماعيا .. علاقتنا بمحمد صلوات الله عليه تكون بصفته النبوية الالهية الاسلامية .

والسؤال اذن : من هو محمد الحقيقي ..؟ هل هو محمد القرشي المكي أم محمد الاسلامي .. ! لا شك أن محمد الحقيقي بالنسبة لنا هو الشخصية المحمدية الاسلامية القرآنية . وللأسف الشديد ، فإن أغلب معاصريه كانوا يتعاملون مع النبي بتلك النظرة التي ينظر أحدنا فيها للآخر ، والتي فيها شيء من الندّية والحسد وتحكيم البيئة والأعراف التي نعيشها ، وهذه النظرة المتواضعة أنتجت تعاملاً آذى النبي ، وقد حذّر منه القرآن الكريم .. قال تعالى (**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا** ۚ)[29] ، وقوله تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**)[30] ، وقوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**)[31] .

وهذا ردّ على المُدّلّس الفكري ميثاق العسر[32] الذي اغرته مصطلحاته المنحوتة بدينه ومذهبه .. فتفريقه بين الحسين الحقيقي والحسين المذهبي هو عين التفريق بين محمد القرشي ومحمد الاسلامي .. هو يريد ان يجرد ابا عبد الله عن كل نظرة عقائدية كجزء من خطة مدفوعة الثمن ينفذها بعض المأجورين الذين يعيشون لندن .. وهو احدهم ..

---

29 النور ٦٣

30 الحجرات ٤

31 الحجرات ٢

32 مدوّن على منصة الفيس بوك بإسم ميثاق العسر ، يكتب بفكر" تنويري" كما يدعي ، لا يقبل النقاش ولا النقد ، مغالط ومدلس وذو دوافع مشبوهة واضحة ..

لا علاقة لنا بالحسين بن علي الذي عاش في فترة زمنية داخل المدينة المنورة .. علاقتنا به علاقة اسلامية عقائدية ، لم نعش معه ، ولم نتعامل معه بتجارة كما كان يتعامل معه اهل عصره ، ولم نزره او يزرنا كأعراف ومجاملات اجتماعية عامة .. ليس لنا شغل بكل ذلك الا من حيث صفته الاسلامية العقائدية (المذهبية) ، وبهذه الصفة هو الحسين الحقيقي لنا لا غير ..

وهذه القاعدة تعمم على جميع الشخصيات التي يربطنا بها الدين وتحدد علاقتنا معها شريعة سيد المرسلين .. وكما أن هذا المنهج منهجاً شرعياً ، فإنه منهج عقلائي ايضا ، فأنت تتعامل مع استاذك من حيث استاذيته غير ما تتعامل معه في جوانب أخرى ، وكذا بالنسبة لمسؤولك الوظيفي أو تعاملك مع صاحب منصب معين ..

ظاهرة الإستهزاء بالرسل

لا زال رسول الإنسانية نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه يتعرض للأذى الذي طالما عانى منه ، حتى ورد عنه ما مضمونه (**ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت**) .. ، والإستهزاء به صلوات الله عليه من أوضح أشكال الأذى الذي تلقّاه ويتلقاه للأسف الشديد ..

فالإستهزاء بالرسل عامة وبنبي الإسلام خاصة ليس بجديد وهو ديدن ودين الجبهة المقابلة لهم ، من طواغيت حكم وطواغيت فكر وطواغيت مال وما يتبعهم ويلحق بهم ممن غرر به أو هو على شاكلتهم (**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**) ..

الاستهزاء : هو السخرية والاستهانة بالآخر ومحاولة تحقيره والإزدراء به .. وموضوعنا عن الاستهزاء برسل السماء ، ولقد ذكر لنا القرآن الكريم بعض أشكال هذا النوع من الاستهزاء ، ومعرفتها نافع في تجنبها ومحاربتها ايضا ، ونذكر منها :

● **التكذيب** : قال تعالى (**فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**)[33] .

● **النفاق والتعامل مع الرسل بوجهين** : قال تعالى (**يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ**)[34] .

● **اتهامهم ونعتهم بأوصاف مشينة** : قال تعالى (**وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ**)[35] ، (**ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ**) [36] ، (**ومنهم الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ**)[37] .

● **الهمز** (التعييب والإنتقاص بالقول) **واللمز** (إنتقاص بالفعل) : قال تعالى (**وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ**)[38] .

● الإنتقاص من الرسل من خلال **الإنتقاص من اصحابهم** : قال تعالى (**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**)[39] .

فكل هتك وإنتقاص ومحاولة توهين قدسية الرسل والتقليل من شأنهم في أعين الآخرين بشتى انواع الوسائل والطرق هو من الإستهزاء ..

---

[33] الأنعام ٥
[34] التوبة ٦٤
[35] الصافات ٣٦
[36] الدخان ١٤
[37] التوبة ٦١
[38] التوبة ٥٨
[39] هود ٢٧

أسباب ظاهرة الإستهزاء بالرسل : لهذه الظاهرة أسباب كثيرة ، ومعرفة تلك الاسباب نافعة كوقاية من هذا الذنب الكبير ونافعه كخطوة مهمة في طريق معالجته والقضاء عليه إن وقع ، بسبب التلازم العقلي بين (السبب والمسبب عنه) .. ومن هذه الاسباب :

1. **الجهل** : فالناس أعداء ما جهلوا ، والجهل يكاد يكون علة لكل تقصير صادر عن الإنسان في هذه الحياة تجاه ربه ونفسه ومجتمعه وطبيعته المحيطة به ، ومن الإشارات القرآنية لهذا السبب (**وإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**) .

2. **الإستكبار** : وهذا من أهم اسباب الهزو ويصيب حتى من كان له نصيبا من العلم ، (**يسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [] وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**) .

3. **الحقد والكراهية** : ونفس الاستكبار اعلاه يكون بسبب الحقد والكراهية (**كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ**) وقلنا التكذيب من اشكال الاستهزاء ..

٤. **ومن اسباب الإستهزاء** : أحيانا كثيرة يكون الإستهزاء بالأنبياء وعلى وجه الخصوص بنبي الإسلام صلوات الله عليه (كما في هذه الأيام) كردة فعل عن أثر تصرفات خاطئة ومشينة يقوم بها بعض المنتمين للإسلام ، ولنقل أن الإستهزاء أصبح في أيامنا هذه رداً لإعتداء يبدأ به بعض المسلمين ، ولقد نبه القرآن الكريم لهذا السبب وحذر منه (**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) .. فالتصرفات الخاطئة للمسلمين تطبع نظرة خاطئة عند غيرهم عن الإسلام ونبي الإسلام ، فبدلا من تصدير

اخلاق الرسول ورحمة الإسلام وأسسه الإنسانيه أصبح الإرهاب هوية الإسلام وصفة المسلمين ..!!!!

والمسلم الذي يكون سبباً لإستهزاء الرسول (ص وآله) عليه وزره ووزر من أساء الى النبي .. وورد عن اهل بيت العصمة (ع) ما مضمونه (**كونوا لنا زينا ولا تكونوا علينا شينا**) ..

* من طرق معالجة ظاهرة الإستهزاء :

لا شك أن الرسل عامة ونبينا صلوات الله عليه خاصة قد تكفل الله جل وعلا مؤونة رفع ذكرهم وشأنهم ، قال تعالى (**ورفعنا لك ذكرك**) .. ولكن يجب على المسلمين أن يمنعوا ويرفعوا كل هتك لحرمة أي مقدس من مقدساتهم ، فكيف بحرمة أقدس المقدسات بعد الله جل وعلا وهو نبيهم وهو خير الخلق على الاطلاق ..

ويجب أن تكون تلك المعالجات مدروسة ومتقنة لا من باب اسقاط الفرض ، وأستطيع أن أجمل تلك المعالجات بأمرين ضرورين هما :

1. معالجة ومكافحة الاسباب الموجبة للإستهزاء والتي ذكرنا اهمها قبل قليل .

2. ينبغي ان تكون ردة فعل قوية على كل من يسيء الى شخص النبي الاكرم صلوات الله عليه سواء على المستهزء غير المسلم او المسلم الذي كان بسبب تصرفاته اسيء الى النبي صلوات الله عليه ..

النبوة الخاتمة

خلال فترة استمرت لآلاف السنين ، وتحديداً منذ هبوط أبينا آدم عليه السلام على هذه الأرض (وحسب بعض التقديرات 15000 سنة) أرسلت السماء الآف الانبياء والرسل (124000 نبياً حسب بعض الاخبار) ، وكلهم يحملون هدفاً واحداً هو (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**) .

وكان رسولنا الكريم هو خاتم تلك السلسلة الطويلة من الانبياء والرسل (**رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**) وفترة رسالته آخر تلك الفترات ، وستبقى الى نهاية الزمان في هذه الدنيا ، فبعثه الله تعالى بخاتم الرسالات ودينه هو المهيمن على جميع الاديان (**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**) ، (**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**) .

ويمكننا التعبير : أنّ القاعدة النظرية لعلّة وهدف ووظيفة وجود الانبياء على الارض قد انتهت واختتمت واكتملت مع اخر نص شرعي صدر عن الرسول الخاتم ، قال تعالى (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**) ، وخلال هذه الفترة وهذه المنظومة المتكاملة من رُسل ورسالات تمّت الحجّة

الكاملة للمُرسل على عباده وهو الله جلّ وعلا ، قال تعالى (**رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ۚ) ..

من هذا نفهم ان الإسلام في الوقت الذي جاء بكل ما جاءت به الديانات السابقة (**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ۚ) فإنه مهيأ لأن يواكب الحركة التنموية البشرية بجميع جوانبها وبأعلى كمالاتها التي ممكن ان تصل اليه حتى نهاية وجودها على هذه البسيطة .. ، كونه لم يُبشر بنبوات وديانات لاحقة كما فعل من كان قبله فلا بد ان تكون هذه النبوة الخاتمة مستوعبة للحركة البشرية تماماً . إلا أنّ الذي لم يكتمل بعد أمران :

1. لم يُعتنق الاسلام من قبل جميع البشرية بعد ، لأن الاسلام قد كلّفت به البشرية جمعاء (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**) ..

2. لم يختمر الإسلام ايماناً وفهماً عند جميع المسلمين الذين اعتنقوا الاسلام ، قال تعالى مخاطباً فئة من المسلمين (**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ۖ) ..

هذان الأمران هما من اهتمامات الاسلام ووظائفه الأساسية ولم يهملهما الشارع المقدّس وانّما خطّط لهما في صميم التخطيط الاسلامي ، وذلك من خلال اجرائين مهمّين :

الأول / تمثّل بحفظ الدين وشريعة سيد المرسلين وضمان عدم ضياعه او تحريفه ، وذلك من خلال حفظ وصيانة القرآن الكريم

الذي يمثل المعجزة الاسلامية الخالدة (**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) .

الثاني / هو تهيئة وإعداد ثقلٌ بشري للقرآن الكريم وعِدلٌ انساني له بحيث يستطيع هذا الثقل استنطاق القرآن وتأويله وجعله المحور الاساسي لحركة الأمّة ، وذلك من خلال تعيين منظومة محددة من الاوصياء والخلفاء لرسول الله صلوات الله عليه ، يأخذون دور الخلافة للرسول والوصاية على الدين ويكونوا قرآناً ناطقاً في الأمة لحين تحقق ما تبقى من مهام الرسالة واهدافها .

وأن وجود ثقلٌ للقرآن الكريم كان لا بد منه بعد ان نعرف ان القران بدونه يبقى خزائناً في آيات وآيات في صفحات ، وهذا الامر يقرّه القرآن على نفسه حين يقول (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ**) ، فبدون - الراسخون في العلم - لا نستطيع ان نعرف المعاني الحقيقية للقرآن ، يقول الامام الباقر عليه السلام (**نحن الراسخون في العلم ، فنحن نعلم تأويله**) ، وقال تعالى (**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ،فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ، لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**) ومن هم المطهرون غير الذي قال عنهم تعالى (**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**) **!؟..**

ولقدّ صرّح الرسول الاكرم صلوات الله عليه بالعلاقة الحقيقية بين القرآن والعترة وجعلهما معاً خلفاءه من بعده حين قال (**اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي ابدا**) ..

فالذي نريد ان نقوله هنا أنّ النبوة الخاتمة مستمرة بوظيفتها ، وان وظيفتها بعد رحيل نبيّها انتقلت الى الثقلين من بعده ، وعليه .. فالثقلان هما من النبوة الخاتمة والاستمرار الطبيعي والشرعي لها ..

فالرسالة الخاتمة اذن صُمّمت على أن تكون مستمرة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لتحقيق ما تبقى من اهدافها ووظائفها ، وذلك بوجود وبقاء الثقلين (القرآن الكريم) و (الأوصياء الشرعيين الذين هم عِدل القرآن وثقله) ..

ولكن ما يؤسف له أنه قد حصل ما حذّر منه القرآن الكريم نفسه وهو انحراف الأمّة عن متابعة خط ومسار استمرار النبوة الخاتمة وتخلّفها عن رحلة تحقيق خلافة الانسان الكاملة على الأرض وذلك بعد أن جاهدت في فصل وعزل ثقل القرآن عن ثقل العترة ..!

وبعد أن قامت بهذا الخطأ الفادح بل الخطيئة الكبيرة وجدت نفسها بدون منهج محدد تتبعه او صراطٍ معيّن تسير عليه ، فبدأت تبتدع لنفسها مناهجاً اجتهادية يناقض بعضها البعض الآخر ، فتارةً تعمل على قاعدة (لا تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد والتي نتج عنها اختيار الخليفة الاول) وثانية (يمكن للخليفة أن يوصي للذي بعده كما في طريقة تنصيب الخليفة الثاني رغم رفضهم لوصاية الرسول من قبل) وقاعدة ثالثة تتمثل بفكرة (الوصاية لعدد معين على ان يتم تصويت خاص بهم لاختيار واحد منهم ، وعلى هذه الطريقة اختير الخليفة الثالث) ، ورابعة فتحوا الباب على مصراعيه لخلافة الرسول وادارة شؤون الامة حيث شرّعوا (وجوب طاعة ولي الامر ، براً كان او فاجرا ، ولو كان يشرب الخمر ويقتل النفس المحترمة .. !!) .. الخ .

كل هذا التخبط هو من اجل عزل العترة عن الخلافة وازاحتهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها ، الأمر الذي صعّب المهمّة وأخّرها

كثيراً عليهم صلوات الله عليهم وتحمّلوا ما تحملوه من اعباء النبوّة الخاتمة وهي في طريق وصولها الى غاياتها ونتائجها المرجوّة .

ان الذين سلكوا الطرق المنحرفة وحسب التعبير القرآني قد انقلبوا على اعقابهم (**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**) ، وعن امامنا أبي جعفر الباقر عليه السلام : " **كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا ثلاثة** ، فقلت - الراوي - : ومن الثلاثة ؟ فقال : **المقداد بن الأسود ، وأبوذر الغفاري، وسلمان الفارسي رحمة الله عليهم وبركاته ، ثم عرف أناس بعد يسير ، وقال : هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا ، وأبوا ان يبايعوا حتى جاءوا بأمير المؤمنين عليه السلام مكرهاً فبايع ، وذلك قول الله عز وجل : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين**"[40].

وقد توّهم البعض بأنّ الإمامة هي نتاج عاطفي من قِبَل اتباع اهل البيت ومريديهم ومحبيهم ، وفي الواقع هي عقيدة اسلامية يبرهن عليها النقل والعقل ، وتصدّقها الفطرة السليمة ، ولهذا وضعوه أصلاً من أصول الدين وبدونه يتهدد الاسلام كوجود خارجي مجتمعي ووجود ايماني داخل الفرد ، فبها يحفظ الإسلام ويُعرف الإيمان ..

ونحن في الوقت الذي نحب فيه العترة الطاهرة مستندين في ذلك على القرآن كريم (**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ**) وأحاديث نبوية شريفة (**حب ال محمد جواز على الصراط**) ، الاّ انّ موالاتنا لهم واتخاذهم ائمة هو جزء من إيماننا بالنبوة الخاتمة والرسالة الخالدة ، وانّهم الاوصياء عليها بعد الرسول صلى الله عليه وآله ، وانّ جحود ذلك مساوٍ لجحود الرسالة بأكملها ..**!** وهذا ما يقرّه

40 الكافي ج٨ ص ٢٤٥

قانون آية التبليغ (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**) التي اجتمع المسلمون على أن نزولها كان تنصيباً لعلي بن ابي طالب اماماً للمسلمين وخليفةً للرسول الأمين ، ولقد جعلت هذه الآية عدم التبليغ بالخلافة بمنزلة عدم التبليغ بالرسالة كونها رسالة خاتمة الرسالات وينبغي ان تستمر لحين تحقق اهدافها ، هذا تكليف الرسول في الآية ، وأمّا تكليف المسلمين فنأخذه من مفهومها : إن لم تذعنوا لتبليغ الامامة فانكم لم تذعنوا لتبليغ الرسالة بأكملها ..

ملخص هذا الموضوع : أن الأمة لم تستوعب أهم معنى من معاني النبوة الخاتمة وهو امتدادها بعد الرسول وبضمانة الجناحين ، القرآن والعترة ، وإن قلنا فهمته واستوعبته (كما هو الصحيح) فإنها انكرت وتمانعت وتخاذلت عن دينها وابتدعت لنفسها مُعادلات غير موضوعية وغير ناجحة وبدون غطاء شرعي لها ..

القرآن الكريم
من أبرز معالم النبوة الخاتمة

ومن ابرز معالم النبوّة الخاتمة وأقوى دلائلها وأعجز معاجزها وأخلدها على الإطلاق هو القرآن المجيد ، فهو خاتمة كتب السماء ومصدّقها ، امتاز بكل ما تمتاز به النبوّة الخاتمة بل هو النسخة المقروءة والباقية لها ، النبي محمد صلوات الله عليه وعلى آله كان التجسيد البشري للقرآن الكريم .. ولهذا ورد في الخبر عن رسول الله ص واله (**من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه**)[41] ..

ليس بالشيء القليل ان نطّلع ونقرأ ونعيش في عصر آخر اصدار لكتب السماء ، بل لا اصدار بعده .. فعندما تقوم مؤسسة علمية معينة بطبع ونشر آخر اصدار لها يعني انها ستضع فيه آخر ما توصلت اليه ، فكيف بالصادر السماوي الاخير (**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**) **الذي أُودع به أعلى كمالات البشرية في هذه النشأة وما بعدها** ، (**إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**) و (**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**) و (**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا**

---

41 وسائل الشيعة ، ج٦ ص١٩١

الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ) و (**مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ**) .. الخ

لم يراهن الاسلام على شيء مثلما راهن على القران الكريم (**لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**) ، (**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**) ..

لم يكن القرآن الكريم كبقية الكتب التي نعرفها بأنها عبارة عن مجموعة من المعلومات التي تم تدوينها ببضع من الصفحات ، وانما القرآن الذي بين ايدينا له شخصيته المعنوية والعقائدية والفقهية والفكرية وله عالمه الملكوتي الخاص به وسنراه في يوم القيامة بهيئة اخرى ، شافع مُشّفع ، يشتكي من هذا ويثني على ذاك ، (**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيم**) ، وورد (**فإن القران يأتي يوم القيامة في احسن صورة**) .. هو قرآن سواء كان في الصحف ام الصدور ، وسواء كانت اياته مجموعة في مصحف ام مفرّقة في الشرق والغرب ..

والسؤال الذي نطرحه هنا هو : هل رسولنا الكريم (ص وآله) يُعتبر راوياً للقرآن عن الله عز وجل ؟ وبالتالي هل تنطبق قواعد وأصول نقل وضبط وفهم الحديث على القرآن الكريم بإعتباره رواية النبي محمد ص عن الوحي عن الله عز وجلّ ..؟

الجواب / هنالك فوارق جوهرية بين مفهوم الراوي والرسول من الناحية العلمية التخصصية وعند معرفتها سيتضح لنا أنه لا طريق الى نعت الرسول بالراوي ولا يمكن تطبيق اصول وقواعد الحديث على الرسول ص آله ولا على القرآن المجيد ، ومن هذه الفوارق :

١. الراوي ينقل ما سمعه عن انسان مثله ، وهذا الانسان تارة يكون هو القائل للرواية وتارة ينقلها عن آخر ايضا وبشكل يصبح هناك سلسلة بشرية (اذا جاز التعبير) قولاً ونقلاً ، وهذه الطريقة بحد ذاتها لها قواعدها واصول التحقيق بصحتها وبشكل ينسجم مع القائل والناقل لاحتمال الخطأ او النسيان او الكذب الذي يمكن ان يتصف به البشر عموماً . بينما هذا الأمر لا ينطبق على القرآن الكريم الذي ينقله نبي عن مَلَك عن الله ، فهو بالتالي ينقل كلاماً سماوياً اعجازياً لا يمكن الشك او التلاعب فيه (**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**) ، وهذا الكلام السماوي له قواعد اثبات صدوره وضبطه.

٢. دلائل تصديق الراوي لا ترقى الى دلائل تصديق الرسول ص ، فالرسول معه من المعجزات والكرامات والمواصفات ما يقطع الشك وهذا ما لا يتوفر عليه الراوي ، فالراوي يعتمد على وثاقته عند الآخرين فقط بينما الرسول معه حشدٌ من الأدلة والبراهين والقرائن التي تجعل له الحجة الدامغة على الآخرين ..

٣. الراوي يُنظر اليه من زاوية كونه ناقلاً للرواية فقط بغض النظر عن مدى ايمانه وتصديقه لمضمونها بينما رسولنا الكريم قد صدّق باطنه ظاهره في مضمون ما أُرسل به حيث نزل القرآن الكريم على قلبه قبل سمعه حتى صار قرآنا يمشي على الارض وحتى اصبح حجة وقدوة في كل حركاته وسكناته ، فما يُطلب من الرسول من مواصفات لا يُطلب من الراوي ذلك ، وهذا فرق واضح ومهم ..

٤. الراوي بالأصل غير مكلّف بنقل الرواية وليس معنيّاً بإيصالها للآخرين فضلاً عن مسؤوليته عن تصديقها من قبل الآخرين والعمل بمضمونها بينما الرسول ص مكلّف بتبليغ القرآن وبذل الجهد من أجل إيمان الآخرين به واستعمال شتى الوسائل في ذلك والصبر على كل المصاعب المتوقعة في الدعوة الى رسالته .

٥. الراوي ينقل عن المروي عنه ولا يوجد ضامن على أمانة نقله غير دينه وضميره بينما الرسول ص ينقل عمن هو محيط به ومتسلّط عليه بل وموعود بأشد العقاب في حالة حدوث أي خلل في ايصال الرسالة (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بعض لْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ،ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) ..

تاريخية القرآن الكريم

هناك دعوات فكرية حداثوية تحاول الحدّ من تأثير القرآن الكريم في حياة المسلم وتضييق مساحة العمل به من قبلهم وكأنما يريدون أن يعطلوا من كونه المعجزة الخالدة للرسول الأكرم صلوات الله عليه وبالتالي فهو كتاب جاء لزمان دون زماننا ، ومن هذه الأفكار المطروحة هي فكرة تاريخية القرآن الكريم .

" تنتسب التاريخية (historicité) إلى التاريخ (histoire) مما يحيل إلى الماضي ، وإلى قطيعة مع الحاضر أو المستقبل . فتاريخية شيء ما يعني تجاوزه الحاضر ولم يعد سوى ذكرى أو تاريخ " .. هذا بحسب المصطلح العام .. وأمّا خصوص تاريخية القرآن فهي مما كثر الجدال والنقاش حوله بعد أن دعى إليها أصحاب الحداثة والتجديد ، من كتّاب ومفكّرين ومتأثرين ..

وعلى الرغم من اختلاف تلك الدعوات في بعض التفاصيل الى أنّ لهم جامع معرفي واحد ، وهذا الجامع المعرفي نأخذه من رأي محمد آركون – وهو مفكر حداثوي جزائري - :

التاريخية عند محمد آركون فيما تعني : (التحوّل والتغيّر ، اي تحوّل القيم وتغيّرها بتغيّر العصور والأزمان) [42] ، أما تاريخية القرآن بالخصوص عنده نأخذ معناها من هاشم صالح ، وهو مترجم أعمال آركون : (ان كل شيء يتغير مع التاريخ .. حتى العقائد والأفكار الأكثر تأصيلاً ورسوخاً ، العقائد الدينية ، فكرة الله والتعالي ، الإيمان ..)[43] .

وطبعاً لا يقصدون هنا القاعدة التفسيرية المعروفة بالجري والتطبيق والذي نصّ الحديث الشريف عليها (إنَّ القرآن حيٌّ لم يمت ، وانَّه يجري كما يجري الليل والنهار وكما تجري الشمس والقمر) ، وإنما التغيّر عندهم يطال حتى المفاهيم وأنه لا ثوابت ، وبالتالي لا حقائق .. !!

لا أريد أن أتوسع في هذا الموضوع هنا بقدر ما لفت انتباهي آيتان من القرآن الكريم أحسبهما خير شاهد على قِدم هذه الأفكار والدعوات وبطلانها ، وبالتالي فهي غير حداثوية ..! وفيهما خير ردّ على مدّعيها ومروجيها .. والآيتان هما من سورة الفرقان :

■ قال تعالى { **وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** }[44] ، وهذه الآية تُبطل دعوى التاريخية وأنها من أساطير ومتبنيّات التاريخ - أساطير الأولين - والتي أصبحت في الحاضر نحو أفكار غير مقبولة وغير قابلة للتطبيق ..

---

42 من الاجتهاد الى نقد العقل الإسلامي ص٢٦

43 نفس المصدر ص١٣٨

44 الفرقان ٥

■ وقال تعالى { **قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا** }[45] ، ما أجمل وأبلغ وأدق الردّ القرآني على هذه الدعوة ، فالقرآن جاء عن خلفية معرفة أسرار الكون ، وترشّح عن معرفة فلسفة قوانين الخلق ، وبالتالي .. آياته غير قابلة للتغيّر والتبدّل لأنها متجذرة في أعماق الحقيقة وأغوار الواقع ..!

فالذي يتبدل هو من يعتمد في صياغة قوانينه على طريقة التجربة والخطأ ، والذي يتغير هو من يعالج الأمور وفق فرضيات واحتمالات معينة ، وغير الثابت هو من يتعاطى مع جانب أو جانبين وتغيب عنه جوانب أخرى .. أما من عنده أسرار الشيء ، والمحيط به ، فإنّ أحكامه ستكون ثابتة مادام ذلك الشيء موجودا ..

فالمفاهيم والحقائق ثابتة لا تتبدل ، والذي يتبدل هو المصداق الخارجي والموضوع الذي يطابق هذه الحقيقة او تلك .. او قد يتبدل فهم الفاهم اذا صح التعبير ، فقد يكون الخطأ عند القارىء والقراءة وليس في أصل المقروء ..

---

[45] الفرقان ٦

محمد (صلى الله عليه وآله)
أعظم الشخصيات أثراً في التاريخ

وضع مايكل هارت[46] رسولنا الكريم على رأس قائمة أعظم الشخصيات أثراً في التاريخ في كتابه ذائع الصيت[47]..

ويقول : (**لقد اخترت محمداً في أول هذه القائمة ، ولا بد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ، ومعهم حق في ذلك ..**) ، ثم بدأ

---

[46] مُؤلِّف الكتاب هو "مايكل هارت" أمريكيّ الجنسيَّة، وُلد في العام 1932م وما زال عائشًا حتى وقت كتابة هذه السُّطور. وهو عالِم فيزيائيّ وفَلَكيّ ورياضيّ، يعمل في وكالة "ناسا". وله نشاطات علميَّة وسياسيَّة مُتشعِّبة. ديانته هي اليهوديَّة وهو شخص في غاية التعصُّب والأُصُوليَّة. وفوق ذلك هو عُنصريّ النزعة يضطهد الأجناس الأخرى ذات الألوان غير البيضاء .

[47] اسم الكتاب بالإنجليزيَّة (The 100: A Ranking of the Most Influential Persons in History) وترجمته "المائة: تصنيف لأعظم الشخصيَّات تأثيرًا في التاريخ". ظهرتْ الطبعة الأولى لهذا الكتاب عام 1978م .

بوضع تبريراته وأسبابه الخاصة والتي دعته الى ذلك ، وسنحاول الوقوف عندها ضمن نقاط :

أولاً : يقول (**محمد هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي**) .

لاحظ معي قوّة الكلمات التي اختارها في بداية حديثه ، صياغةً ومضموناً ، (الوحيد في التاريخ) وهنا نفى غيره في هذه الصفة وليس مجرد وضعه في خانة الرقم الأول ..! ، (نجاحاً مطلقاً) وليس نسبياً ، فلم يعط للفشل موقعا ، (المستوى الديني والدنيوي) وهنا شمل في هذه الفردانية جميع الشخصيات البشرية ، على المستوى الديني (انبياء وصلحاء وعلماء دين وعبّاد) ، وعلى المستوى الدنيوي (قادة وعلماء وأصحاب عقول ..) .

ثانياً : (وأكثر هؤلاء الذين اخترتهم قد ولدوا ونشأوا في مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسياً وفكرياً ، الا محمد فهو قد ولد سنة 570 ميلادية في مدينة مكة جنوب شبه الحزيرة العربية في منطقة متخلفة من العالم القديم ، بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة والفن ..) .

وهنا يتّبع الكاتب مقارنة موضوعية ومنطقية ومنصفة ، فلم يكتف في عملية المفاضلة على مستوى النتائج وإنما تتبع المقدمات التي نتجت عنها ، ليتضاعف الفضل ويكبر فارق التفضيل ، ففرق أن تبدأ مما دون الصفر لتصل الى المركز العاشر مثلا ، وبين ان تبدأ من مراكز متقدمة لتصل الى المركز العاشر أو دونه ..!!

ثالثاً : (أن الرسول محمداً قد كان دوره أخطر وأعظم في نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعد شريعته أكثر مما كان لعيسى في

الديانة المسيحية ، وعلى الرغم من ان عيسى هو المسؤول عن مبادىء الأخلاق في المسيحية ، غير أن القديس بولس هو الذي أرسى أصول الشريعة المسيحية ، وهو ايضاً المسؤول عن كتابة الكثير مما جاء في كتب " العهد الجديد " ، أما الرسول محمد فهو المسؤول الأول والأوحد عن ارساء قواعد الاسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والاخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية ، كما أن القرآن الكريم نزل عليه وحده ، وفي القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون اليه في دنياهم وآخرتهم ..) .

وهنا يبني الباحث مفاضلته على معيار مهم ، وهو معيار النهوض بالمسؤولية وإتمامها على الوجه الأكمل منفرداً أم بمساعدة آخرين ، وإن دلّ ذلك على شيء فهو يدل على القدرات والكمالات الهائلة التي يتحلى بها الفرد رغم ان مستوى الانتاج يعادل انتاج جماعة أو أمة بأكملها ، كما قال تعالى بحق ابراهيم الخليل عليه السلام (ان ابراهيم كان أمة ..) .

رابعاً : ويقول (**الامتزاج بين الدنيا والدين هو الذي جعلني اؤمن بأن محمد هو أعظم الشخصيات أثراً في تاريخ الانسانية كلها**) ، ويعطي أمثلة لهذا الامتزاج نختصر بعضها هنا (كان النبي محمد رجلاً دنيوياً على خلاف عيسى ، فكان زوجاً وأباً ، وكان يعمل بالتجارة ويرعى الغنم ، وكان يحارب ويصاب في الحروب ويمرض ثم مات) .

لاحظ معي هذه المفاضلة الدقيقة والنافعة والمربيّة ايضاً ، فلم يعتمد النبي محمد في دعوته على طرق وأساليب اعجازية - الا ما أضطر اليه - ولم يتعامل مع الآخرين بالجوانب الغيبية من شخصيته ، لأنه جاء بدين الإنسانية ، وشريعة منسجمة مع الطبيعة البشرية ،

فما يقوم به محمد في الاسلام يقوم به غيره ، (حلال محمد حلال الى يوم القيامة ..) .

خامساً : (**اذا استعرضنا التاريخ ، فإننا نجد أحداثاً كثيرة من الممكن أن تقع دون أبطالها المعروفين ، مثلاً كان من الممكن أن تستقل مستعمرات امريكا الجنوبية عن اسبانيا دون ان يتزعم حركاتها الاستقلالية رجل مثل سيمون بوليفار ، هذا ممكن جداً ان يأتي غير انسان ويقوم بنفس العمل ، ولكن من المستحيل ان يقال ذلك على البدو وعن العرب عموماً وعن امبراطوريتهم الواسعة دون ان يكون هناك محمداً ..!**) ، ويضيف هارت (**أن الرسول استطاع للمرة الأولى في التاريخ ان يوحد بين سكان شبه الجزيرة العربية ، وهم المشهورون بشراستهم في القتال وتمزقهم ، ووحد بينهم بالإيمان الى الإله الواحد**) .

بهذه المفاضلات - وغيرها - وعلى هكذا أسس ومعايير استند هذا الكاتب في جعله رسولنا الكريم على رأس قائمة الشخصيات الأكثر تأثيراً في التأريخ .. والأكثر أنصافاً من هذا الكاتب هو اعتماده على معيار التأثير المستمر والمتجدد ولم يعط للقادة أصحاب التأثير المؤقت وإن كان كبيراً ولهذا نراه يقول بحق نبيّنا الكريم (**وبعد 14 قرنا من وفاته فإن اثر محمد عليه السلام ما يزال قويا متجددا**) .

النبي محمد (ص وآله) بنظر علماء غربيين

لأقوال وكلمات المفكرين والعلماء الغربيين بحق الإسلام أو بحق نبي الإسلام او القرآن الكريم أهمية بالغة ، لأنها شهادات غير مجروحة بالإنتماء والعصبية ، وأن لقائليها في العادة أذناً صاغية عالمية ، أضف الى ذلك أنهم ينظرون بعين أخرى غير متأثرة بمؤثرات التلقين او ضغوط التقديس .. وغيرها والتي تعطي في العادة قراءات نمطية تختفي خلفها زوايا وجوانب لا تُسلّط عليها الأضواء وتعيش في اجواء مظلمة تحرمنا من حقائق ومعلومات نافعة وهامّة ..

فهذه بعض أشهر الاقوال والكلمات والكتابات والتي صدرت عن شخصيات مرموقة بإختصاصاتها /

▪ **إدوار مونته** (1817 - 1894) : فيلسوف ومستشرق فرنسي ، قال في آخر كتابه (العرب) :

[عرف محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم ، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق ، وبالجملة كان محمد أزكى وأدين وأرحم عرب عصره ، وأشدّهم حفاظاً على الزمام ، فقد

وجههم إلى حياة لم يحلموا بها من قبل ، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم] .

▪ **مونتجومري وات** (1909 - 2006) : مستشرق بريطاني عمل أستاذاً للغة العربية والدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي في جامعة إدنبرة في إدنبرة – اسكتلندا . من أشهر كتبه كتاب محمد في مكة ، وكتاب محمد في المدينة من إصدارات جامعة إدنبرة ، يقول فيه :

[إن استعداد هذا الرجل لتحمل الاضطهاد من أجل معتقداته ، والطبيعة الأخلاقية السامية لمن آمنوا به واتبعوه واعتبروه سيداً وقائداً لهم إلى جانب عظمة إنجازاته المطلقة ، كل ذلك يدل على العدالة والنزاهة المتأصّلة في شخصه . فافتراض أن محمداً مدع افتراض يثير مشاكل أكثر ولا يحلها. بل إنه لا توجد شخصية من عظماء التاريخ الغربيين لم تنل التقدير اللائق بها مثل ما فعل بمحمد] [48].

▪ **لامارتين** (ولادته 1790) : كاتب وشاعر وسياسي فرنسي ، قال في كتاب حياة محمد ، وهو مقدمة لكتاب (من تأريخ تركيا) ، الجزء الثاني ، ص 276 و 277 :

[إذا كانت الضوابط التي نقيس بها عبقرية الإنسان هي سمو الغاية والنتائج المذهلة لذلك رغم قلة الوسيلة ، فمن ذا الذي يجرؤ أن يقارن أياً من عظماء التاريخ الحديث بالنبي محمد في عبقريته ؟ فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة وسنّوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات ، فلم يجنوا إلا أمجاداً بالية لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانَيْهم ، لكن هذا الرجل لم يقد الجيوش ويسنّ التشريعات ويقم الإمبراطوريات ويحكم الشعوب ويروض الحكام فقط ، وإنما قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ ، ليس هذا فقط

---

[48] محمد في مكة ص٥٢

.. بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والأديان والأفكار والمعتقدات الباطلة] .

▪ **جان جاك روسو** : فيلسوف فرنسي ، يقول في كتابه الشهير « العقد الاجتماعي » (طبع لأول مرة عام 1762) :

[من الناس من يتعلم قليلاً من العربية ، ثم يقرأ القرآن ولا يفهمه ، ولو أنه سمع محمداً يمليه بتلك اللغة الفصحى الرقيقة ، وذاك الصوت المقنع المؤثّر في شغاف القلوب ، ورآه يؤكد أحكامه بقوة البيان ، لخرّ ساجداً على الأرض وناداه : أيها النبي ، يا رسول الله ، خذ بأيدينا إلى مواقف الشرف والفخار ، أو إلى مواقع التهلكة والأخطار ، فنحن في سبيلك ، نودّ الموت أو الانتصار] .

▪ **سبربت و. أرنولد** : مستشرق انكليزي ، قال في كتابه (الدعوة الى الإسلام) ص ٣٧ :

[قبيل وفاة محمد نرى جميع أنحاء الجزيرة العربية تقريباً تدين له بالطاعة ، وإذا ببلاد العرب التي لم تخضع إطلاقاً لأمير من قبل تظهر في وحدة سياسية وتخضع لإرادة حاكم مطلق ، ومن تلك القبائل المتنوعة ، صغيرها وكبيرها ، ذات العناصر المختلفة التي قد تبلغ المائه والتي لم تنقطع عن التنازع والتناحر ، خلقت رسالة محمد أمة واحدة ، وقد جمعت فكرة الدين المشترك تحت زعامة واحدة شتى القبائل في نظام سياسي واحد ، ذلك النظام الذي سرت مزاياه في سرعة تبعث على الدهشة والإعجاب . وأن فكرة واحدة كبرى هي التي حققت هذه النتيجة ، تلك هي مبدأ الحياة القومية في جزيرة العرب الوثنية ، وهكذا كان النظام القبلي لأول مرة ، وإن لم يقض عليه نهائياً (إذ كان ذلك مستحيلاً) ، شيئاً ثانوياً بالنسبة للشعور بالوحدة الدينية .

وتكللت المهمة الضخمة بالنجاح ، فعندما انتقل محمد إلى جوار ربه كانت السكينة و ترفرف على أكبر مساحة من شبه الجزيرة

العربية ، بصورة لم تكن القبائل العربية تعرفها من قبل ، مع شدّة تعلّقها بالتدمير وأخذ الثأر . وكان الدين الإسلامي هو الذي مهد السبيل إلى هذا الائتلاف ..] .

▪ **جورج برنارد شو** (ولادته 1856) : كاتب مسرحي بريطاني ، يقول :

[لما قرأت دين محمد أحسست أنه دين عظيم ، وأعتقد أن هذا الدين العظيم سيسود العالم ذات يوم قريب مقبل إذا ما وجد الفرصة لإنتصاره ، ليتعرف العالم عليه بلا تعصب] .

▪ **برتراند راسل** : أحد فلاسفة بريطانيا الكبار ، حاصل على جائزة نوبل عام 1950 ، يقول :

[لقد قرأت عن الإسلام ونبي الإسلام فوجدت أنه دين جاء ليصبح دين العالم والإنسانية ، فالتعاليم التي جاء بها محمد والتي حفل بها كتابه مازلنا نبحث ونتعلق بذرّات منها وننال أعلى الجوائز من أجلها] .

▪ **جوستاف لوبون** (1841 – 1921 م) : مستشرق فرنسي ، يقول :

[إذا ما قِيسَتْ قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد من أعظم مَنْ عَرَفهم التاريخ ، و أخذ بعض علماء الغرب يُنصفون محمداً ، مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله] .

▪ **ميخائيل إيمارى** : مستشرق ايطالي في كتابه (تاريخ المسلمين) يقول :

[وحسب محمد ثناءً عليه أنه لم يساوم ولم يقبل المساومة لحظة واحدة في موضوع رسالته على كثرة فنون المساومات واشتداد المحن وهو القائل "لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري

على أن أترك هذا الأمر ما تركته " . عقيدة راسخة ، وثبات لا يقاس بنظير ، و همة تركت العرب مدينين لمحمد بن عبد الله ، إذ تركهم أمة لها شأنها تحت الشمس في تاريخ البشر] .

▪ **سانت هيلر** (1793 - 1884) : مستشرق ألماني ، قال في كتابه (الشرقيون وعقائدهم) :

[كان محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته ، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها ، فكان النبي داعياً إلى ديانة الإله الواحد وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه ، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة] .

▪ **دون بايرون** (1839 _ 1900) : باحث ارجنتيني ، يقول في مؤلفه : « أتح لنسفك فرصة » :

[اتفق المؤرخون على أن محمد بن عبد الله كان ممتازاً بين قومه بأخلاق حميدة ، من صدق الحديث والأمانة والكرم وحسن الشمائل والتواضع حتى سمّاه أهل بلده الأمين ، وكان من شدة ثقتهم به وبأمانته يودعون عنده ودائعهم وأماناتهم ، وكان لايشرب الأشربة المسكرة ، ولا يحضر للأوثان عيداً ولا احتفالاً ، وكان يعيش مما يدرّه عليه عمله من خير] .

▪ **ليف تولستوي** (1828 - 1910) : الأديب العالمي ، يُعدّ أدبه من أمتع ما كتب في التراث الإنساني :

[يكفي محمداً فخراً أنّه خلّص أمةً ذليلةً دمويةً من مخالب شياطين العادات الذميمة ، وفتح على وجوههم طريقَ الرُّقي والتقدم ، وأنّ شريعةَ محمدٍ ، ستسودُ العالم لانسجامها مع العقل والحكمة] ويقول ايضاً **[أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه ، وليكون هو أيضا آخر الأنبياء] .**

▪ **جون ويليام دريبر** (1811- 1882) : فيلسوف ومؤرخ بريطاني ، يقول في كتابه « تاريخ التطور الفكري في أوروبا » :

[في عام 569 ولد في مكة في الجزيرة العربية الإنسان الوحيد بين جميع البشر الذي كان له أكبر الأثر على الجنس البشري إنه محمد] .

▪ **رينيه ديكارت** (1596-1650) : صاحب نظرية « أنا أفكر إذن أنا موجود » ، في كتابه الشهير « مقالة في المنهج » :

[نحن والمسلمون في هذه الحياة ، ولكنهم يعملون بالرسالتين العيسوية والمحمدية ، ونحن لا نعمل بالثانية ، ولو أنصفنا لكنا معهم جنباً إلى جنب ، لأن رسالتهم فيها ما يتلاءم مع كل زمان ، وصاحب شريعتهم محمد ، عجزَ العرب عن مجاراة قرآنه وفصاحته ، بل لم يأتِ التاريخ برجل أفصح منه لساناً ، وأبلغ منه منطقاً ، وأعظم منه خُلقاً ، وذلك دليل على ما يتمتع به نبي المسلمين من الصفات الحميدة ، التي أهّلته لأن يكون نبياً في آخر حلقات الأنبياء ، ولأن يعتنق دينه مئات الملايين من البشر] .

الوصي يصف النبي

شهادة معرفة أمير المؤمنين عليه السلام للرسول الأكرم هي بتوقيع الرسول نفسه ، بل حصر صلوات الله عليه معرفته بالإمام علي بعد الله سبحانه وتعالى عندما قال له (**يا علي .. لا يعرفني الا الله وأنت**) .. وحسب الخبر التالي نعرف أن المسلمين كانوا يدركون هذه الحقيقة ويعرفونها جيداً ، وقبل نقل الخبر نقول أن الأعرف بالرسول هو الأعرف بالرسالة التي جاء بها والأعرف بخلافته والأقدر على إدارة أدواره ووظائفه .. **!!** هذا هو منطق الأشياء ، وهكذا كانت ارادت السماء ، ولكن لم يرع القوم معارفهم ، ولم يعملوا بما علموا ، قال تعالى (**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**)[49] ، فحصلت بسبب ذلك المصائب ، وحلّت الويلات الى الأمّة ، فعندما يولّى المفضول وينحّى الفاضل ، وعندما يُترك العالِم ويؤخذ من الجاهل فإن النتائج ستكون قاسية ومرعبة ، وهذا ما حصل لشديد الأسف وأليم الحسرة ..**!**

الخبر : أقبل قوم من اليهود إلى أبي بكر الصديق ، فقالوا له : يا أبا بكر صف لنا صاحبك ..؟

---

[49] النمل ١٤

فقال : معاشر يهود ، لقد كنت مع النبيّ في الغار كإصبعيّ هاتين ، ولقد صعدتُ معه جبل حراء ، وإنّ خنصري لفي خنصر النبي ، ولكن الحديث عن النبي (صلى الله عليه - وآله - وسلم) شديد ، وهذا عليّ بن أبي طالب ، فأتوا عليّاً فقالوا : يا أبا الحسن صف لنا ابن عمّك .

فقال علي (عليه السلام) : « **لم يكن حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالطّويل الذّاهب طولا، ولا بالقصير المتردّد ، كان فوق الرّبعة ، أبيض اللّون ، مُشرب الحمرة ، جعداً ليس بالقطط ، يفرق شعرته إلى أُذنيه ، وكان حبيبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) صلت الجبين ، واضح الخدّين ، أدعج العين ، دقيق المسربة ، برّاق الثنايا ، أقنى الأنف ، عنقه إبريق فضّة ، كأنّ الذّهب يجري في تراقيّه ، وكان لحبيبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) شعرات من لُبّته إلى سُرّته كأنّهنّ قضيب مِسك أسود ، ولم يكن في جسده ولا صدره شعرات غيرهنّ ، على كتفيه كدارة القمر ليلة البدر، مكتوب بالنّور سطران :**

السّطر الأعلى : لا إله إلاّ الله ، وفي السّطر الأسفل : محمّد رسول الله .

وكان حبيبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) شثن الكفّ والقدم ، إذا مشى كأنّما يتقلّع من صخر، وإذا انحدر كأنّما ينحدر من صَبَب ، وإذا التفت التفت بمجامع بدنه ، وإذا قام غمر النّاس ، وإذا قعد علا على النّاس ، وإذا تكلّم نصت له النّاس ، وإذا خطب بكى النّاس ، وكان حبيبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) أَرحم النّاس بالنّاس ، كان لليتيم كالأب الرّحيم ، وللأرملة كالزّوج الكريم ، وكان محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) أشجع النّاس قلباً ، وأبذله كفّاً ، وأصبحه وجهاً ، وأطيبه ريحاً ، وأكرمه حسباً ، لم يكن مثله ولا

مثل أهل بيته في الأوّلين والآخرين ، كان لباسه العباء ، وطعامه خبز الشّعير ، ووسادته الأدمَ محشوّة بليف النّخل ، سريره أُمّ غيلان مزمّل بالشريط ، كان لمحمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) عمامتان : إحداهما تدعى السّحاب والاخر العُقاب ، وكان سيفه ذو الفقار ، ورايته الغبراء ، وناقته العضباء ، وبغلته دُلدل ، وحماره يعفور، فرسه مرتجز، شاته بركة ، قضيبه الممشوق ، لواءه الحمد ، إدامه اللّبن ، قِدره الدّبا تحيّته الشكر ، يا أهل الكتاب كان حبيبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) يعقل البعير ، ويعلف النّاضّح ، ويحلب الشاة ، ويرقع الثّوب ويخصف النّعل » .

المصدر : (تاريخ دمشق ج 54 ص 197 الرقم 6734، الغدير ج 10 ص 7)

الهجرة في سبيل الله ، من أساليب الدعوة في الإسلام

قال تعالى (**وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**)[50] .

للهجرة في الإسلام فقهها وفكرها واستراتيجيتها ، وهي من إحدى المنهجيات التي سنّها الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأصلها في الإسلام ، ولها يعود الفضل في حفظ الدين وانتشاره .. نعم ، تحمل الهجرة فكرتين او هدفين مهمين في المنظومة الفكرية والتشريعية الإسلامية :

الأولى / تتضمن فرار المسلم بنفسه ودينه من مكان يخاف فيه على نفسه أو دينه ، الى مكان آمن يستطيع من خلاله ممارسة ما تمليه عليه عقيدته وشريعته التي آمن بها .. من كلام جعفر بن أبي طالب للنجاشي قوله : (**فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا في ديننا ، ليَرُدُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنَّا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين**

50 النساء ١٠٠

ديننا ، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيُّها الملك)[51] .

والثانية / تعتبر من أهم أساليب الدعوة ونشر الإسلام ، وأنجع طريقة في زرع محطات وبذرات ايمانية في أماكن مختلفة من الأرض ..

فللهجرة ثقافتها وأحكامها الخاصة ، وهي بنفس الوقت سلاح من أسلحة الدين وتكتيكاً وخطةً من خططه ومناوراته الناجحة التي أتاحها للمسلمين ..

يتحدث التاريخ الإسلامي عن عددٍ من الهجرات في أيام النبي صلى الله عليه وآله ، منها بدون الرسول ولكن بأمره وتوجيهه ، كالهجرة الى الحبشة الأولى والثانية والتي نتج عنهما إيمان النجاشي ملك الحبشة ، ومنها ما قام هو بها عليه السلام كالهجرة الى الطائف وبعض الهجرات الى بعض القبائل .. وآخرها الهجرة الكبرى من مكة الى المدينة المنورة والتي أحدثت تاريخاً جديداً للإسلام والمسلمين ، ومن خلالها انتشر الاسلام ووقف على قدميه وأصبح ديناً ودولةً يهابهما الشرق والغرب ..

هذا الموضوع ليس للسرد التاريخي ولا لذكر تفاصيل وبرامج وسيناريوهات تلك الهجرات بقدر ما نريد الإشارة الى الجانب الايدولوجي من الهجرة والخلفية الفكرية لها .. أن تهاجر بمعنى أنك تغيّر بيئة عملك ما دامت البيئة التي تعمل بها غير منتجة ولا تستطيع أن تتقدم فيها الى الأمام ، بل قد تكون مهدداً بالتراجع وخسارة ما تم قطفه والحصول عليه ، قال تعالى (**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ**)[52].

---

51 سيرة بن هشام ج١ ص٣٥

52 العنكبوت ٥٦

والهجرة تعني أنك تتخلّى ايضاً عن ارتباطاتك وعلاقاتك وسائر الأمور التي فرضتها عليك طبيعة الوطن والمجتمع الذي عشت فيه والتي لا تنفعك في مهمتك ومسؤوليتك إن لم تشغلك عنها .. للتفرغ بالهجرة الى تلك المسؤولية ، وتصبح في مهجرك هي شغلك الشاغل وعملك الأهم وهدفك الأسمى ، قال تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)[53] . ويتاح لك بالهجرة أناس لم يعرفوا عنك صفة غير صفتك التي هاجرت بها ومن أجلها اليهم ، وسترتبطك بهم شبكة من العلاقات مبنية وفق هذه الرؤية وهذه النظرة ، مما يجعلك تخطو بهم خطوات واسعة نحو الأهداف المرسومة لك ، قال تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**)[54] . والهجرة تعطيك فرصة لإعادة ترتيب الأوراق وتجميع القوى وتنسيق الأفكار لمواجهة ما كنت تعجز عن مواجهته في البيئة التي هاجرت منها ، فتعيد الكرة والنصر في هذه المرة حليفك ، قال تعالى (**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا**)[55] .

كل هذه المعاني والخطط وغيرها تتوفر الهجرة على ترسيخها وتنفيذها في الإسلام ..

---

[53] البقرة ٢١٨

[54] الأنفال ٧٢

[55] الفتح ٢٧

ثلاثية (الإيمان - والاعتزال - والهجرة)

هنالك ثمّة تراتبية بشرية بين ثلاثة عناصر متسلسلة ومتعاقبة بشكل يكاد يكون تعاقباً ذاتياً ضروريا ..

فأول هذه الامور هي عندما يؤمن الانسان بفكرة معينة يخالف بها رأي الأكثرية أو يعيش في مجتمع يؤمن بالضد من فكرته وعقيدته ، وهي فترة التحرر الفكري الشخصي ومرحلة تكسير القيود الموروثة أو المفروضة بيئياً ، ثم بعد هذه المرحلة - مرحلة الإيمان أو التبني الفكري - ولكونه لا يستطيع فرض رأيه وإقناع الآخرين - إلا ما ندر- مما ليس لهم تأثير اجتماعي معين رغم المحاولات الكبيرة والكثيرة فإنه (أو أنهم) سينفصل تدريجياً عن بيئته ويعتزلهم اعتزالاً معنوياً وإن كان ظاهرياً يعتبر جزءاً منهم ، ولنقل هو فيهم ولكن ليس منهم .. ثم تتطور حالة الاعتزال هذه الى حرب نفسية ومواجهات قاسية وجائرة تصل الى حدّ الخطورة على الإيمان أو على النفس ، فيصبح عندئذ قرار المرحلة الثالثة وهي الهجرة ناجزاً ، يصبح الانفصال الجسدي العضوي من ذلك المجتمع ضروريا ..

وتأريخياً فإن هذه الثلاثية (الإيمان والاعتزال والهجرة) متكررة وبكثرة ولكن لعل أوضح مصاديقها هي ما حصل للرسول الأكرم

صلوات الله وسلامه عليه في بداية الدعوة وكيف تحوّل إيمانهم الى عزلة نفسية وفكرية داخل مجتمع مكة بل وصل إلى حد عدم التعاطي معهم بشؤون الحياة كافة ، ثم عندما ازداد الخطر عليهم تقررت الهجرة الى المدينة .. فلاحظ الآيتين القرآنيتين التاليتين كيف تتحدثان بوضوح عن هذه المراحل الثلاث :

■ **الآية 1** : (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**) ، هذه الآية تعطي هذا التسلسل ؛ امنوا - هاجروا - جاهدوا ..

■ **الآية** 2 : (**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**) ، هذه الآية تقول هاجروا من بعد ما فتنوا ، اي الفتنة تكون قبل الهجرة ..

فيكون التسلسل : (ايمان - فتنة - هجرة – جهاد) ، والفتنة هنا هي معنى الحرب النفسية الناتجة عن الاعتزال .. وأما الهجرة فهي ليس محل كلامنا في هذا المبحث ..

وهناك شاهد آخر على هذه الثلاثية وهي في قصة أصحاب الكهف ، فصرّح القرآن الكريم بهذه المراحل الثلاث ايضاً حيث قال :

مرحلة الإيمان : نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى .

مرحلتا الاعتزال والهجرة : وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا .

حيث الإيواء الى الكهف هو الهجرة هنا .. فتأمل

الدخول في دين الله أفواجا

بعد فتح مكة بدأت القبائل العربية تتوافد على المدينة المنورة لتُعلن إسلامها أمام الرسول (ص وآله) ، فإستقبلهم صلوات الله وسلامه عليه بأخلاقه العظيمة وبسماحة الإسلام ، وقَبِلَ منهم إسلامهم ، فتبدّلت الحروب والصراعات بين قبائل الجزيرة العربية الى سلم وأمان ، وعمّ ذلك أرجاءها ، وبات الإسلام دولة كبرى يتطلع الى نشر دعوته خارج حدود أرضه ومساحته التي بُعث فيها - كما سيأتي في الموضوع اللاحق - . يقول الشيخ الطبرسي في كتابه إعلام الورى بأعلام الهدى : « فلمّا أسلمت ثقيف أقبلت إلى رسول الله (ص) وفود العرب فدخلوا في دين الله أفواجاً » . قال الله تعالى : ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابً** ﴾ .

ذكر بعض الوفود

لقد ذكرت كتب التأريخ الوفود التي جاءت للنبي في عام الوفود ، وهو العام التاسع للهجرة ، (631 م) وهي :

▪ وفد بني تميم :

كان من أوائل وأهم القبائل التي جاءت إلى الرسول وفد بني تميم ، فقدم عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي وهو من أشراف بني تميم ، وقدم أيضاً الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ، فلما دخلوا نادوا رسول الله من وراء الحجرات ، فآذى ذلك الرسول ، فخرج إليهم فقالوا : يا محمد جئناك نفاخرك فأذن لشاعرنا الزبرقان بن بدر وخطيبنا عطارد بن حاجب ، فأذن لهم فقال عطارد : الحمد لله الذي له علينا الفضل الذي جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظاماً نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثرهم عدداً ، فمن يفاخرنا فليعدد مثل عددنا .

فقال الرسول لثابت بن قيس : **أجب الرجل** ، فقال : الحمد لله الذي له السماوات والأرض خَلْقُهُ ، قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ، ولم يكن شيءٌ قطٌّ إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً ، واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمهم نسباً وأصدقهم حديثاً وأفضلهم حسباً ، فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله تعالى من العاملين ، فآمن به المهاجرون من قومه وذوي الرحمة ، أكرم الناس نسباً وأحسن الناس وجوهاً وخير الناس فعالاً ، ثم كان أول خلق الله استجابة لله حين دعاه ، نحن فنحن أنصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه في الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً ، والسلام عليكم .

فقالوا : يا رسول الله ، ائذن لشاعرنا ، فأذن له ، فقام الزبرقان بن بدر فقال :

نحن الكرام فلا حي يعادلنا

منا الملوك وفينا تنصب البيع

وكم قسرنا من الأحياء كلهم

عند النهاب وفضل العرب يتبع

ونحن يطعم عند القحط مطعمنا

من الشواء إذا لم يؤنس الفزع

بما ترى الناس تأتينا سراتهم

من كل أرضٍ هوياً ثم نصطنع

فننحر الكوم عبطاً في أرومتنا

للنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا

فلا ترانا إلى حيٍّ نفاخرهم

إلا استقادوا وكاد الرأس يقتطع

إنا أبينا ولن يأبى لنا أحد

إنا كذلك عند الفخر نرتفع

فمن يفاخرنا في ذاك يعرفنا

فيرجع القول والأخبار تستمع

وكان حسان بن ثابت غائباً ، فدعاه الرسول ليجيب الزبرقان ، فأتى حسان بن ثابت ، فلما سمع ما قاله الزبرقان قال :

إن الذوائب من فهرٍ وإخوتهم

قد بينوا سنة للناس تتبع

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم

أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

يرضى بهم كل من كانت سريرته

تقوى الإله وكل البر يصطنع

سجية تلك منهم غير محدثة

إن الخلائق فاعلم شرّها البدع

إن كان في الناس سباقون بعدهم

فكل سبقٍ لأدنى سبقهم تبع

لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم

عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا

إن سابقوا الناس يوماً فاز سبقهم

أو وازنوا أهل مجدٍ بالندى متعوا

أعفةً ذُكرت في الوحي عفتهم

لا يطبعون ولا يزري بهم طمع

لا يبخلون على جارٍ بفضلهم

ولا يمسهم من مطمع طبع

إذا نصبنا لحيٍّ لم ندبّ لهم

كما يدبّ إلى الوحشية الذرع

كأنهم في الوغى والموت مكتنع

أسدٌ بحلية في أرساغها فدع

أكرم بقومٍ رسولُ الله شيعتهم

إذا تفاوتت الأهواء والشيع

فإنهم أفضل الأحياء كلهم

إن جد بالناس جد القول أو شمعوا

فلما انتهى حسان قال الأقرع بن حابس : إن هذا الرجل لَمُؤتَّى له ، خطيبهم أخطب من خطيبنا وشاعرهم أشعر من شاعرنا ، ثم أسلموا . وفي هذه الحادثة نزلت الآية الكريمة : { **إنّ الذينَ يُنادونَكَ من وراء الحُجُراتِ أكثرُهُم لا يعقلون** } .

- **وفد بني عامر** :

استقبل النبي وفد بني عامر وأحسن ضيافتهم ، فأعجبوا بأخلاقه عليه الصلاة والسلام فأسلموا جميعاً ، وأعلنوا تأييده ، وبالغوا في مدحه ، فعن أبي مطرف رضي الله عنه قال : انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ، فقلنا : أنت سيّدنا ، فقال : السيد الله تبارك وتعالى . قلنا : وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولا ، فقال لنا : قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان .

وكان مع ذلك الوفد عامر بن الطُّفَيل وأَرْبَد بن قيس وجبّار بن سلمى ، وعندما قدم عامر بن الطفيل إلى الرسول ، كان يريد الغدر به فقال له قومه : يا عامر إن الناس أسلموا فأسلم ، فقال عامر : والله لقد كنت آليت أن لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي ، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ، ثم قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُهُ بالسيف ! فلما قدموا إلى رسول الله ، قال عامر : يا محمد خالِنِي ، فقال الرسول : **لا والله حتى تؤمن بالله وحده** . فقال عامر : يا محمد خالني ، وأخذ يكلم الرسول وينتظر من أربد ما أمره به ، فلم يفعل أربد شيئاً ، فلما رأى عامر ذلك قال : يا محمد خالني ، فقال الرسول : **لا ، حتى تؤمن**

بالله وحده لا شريك له ، فلما لم يقبل الرسول بأن يخاليه قال : أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً . فلما ذهب قال الرسول : **اللهم اكفني عامر بن الطفيل** . وعندما خرج عامر مع أربد من عند الرسول قال لأربد : ويلك يا أربد أين ما كنت ما أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجلٌ هو أخوف عندي على نفسي منك ، وايمُ الله لا أخافك بعد اليوم أبداً . فقال أربد : لا أبا لك لا تَعْجَل علي ، والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلا أن دَخَلتَ بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف ؟

وبعد أن خرجوا من عند الرسول عائدين إلى قومهم بعث الله الطاعون إلى عامر بن الطفيل ، فمات ، فعاد أربد مع بقية الوفد إلى قومهم وقد كانوا مرتبكين فقال قومهم لأربد : ما وراءك يا أربد ؟ فقال : لا شيء ، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله ، وخرج بعد ذلك بيومٍ أو يومين ومعه جمل ، فأرسل الله تعالى عليهم صاعقةً أحرقت أربد وقتلته .

- **وفد اليمامة :**

جاء من اليمامة وفد عظيم يمثلون مائة الف رجل ، يعلن إسلامه لرسول الله ، فدخلوا على رسول الله إلا رجل واحد إسمة (مسيلمة) ، وعندما دخل القوم لرسول الله وأعلنوا إسلامهم اعطاهم الرسول الهدايا ، فقالوا له الوفد : يا رسول الله : إن فينا رجل من سادتنا خارج الدار وما رضى أن يدخل معنا فقال لهم رسول الله : **ما دام يحرس متاعكم إذن فهو ليس بأسوءكم واعطاهم الهدايا له** ، فخرجوا لمسيلمة وقالوا له ما قاله رسول الله عنة ، فقال لهم مسيلمة : إنظروا مدحنى محمد ، ثم بعد ذلك ذهب مسيلمة لبيت النبى فقال له القوم : متى تُسلم يا مسيلمة ؟ فقال لهم مسيلمة : أُسلم على أن يعطينى محمد الأمر من بعده ، فسمعه الرسول ، فأمسك النبى عرجون صغير

من الأرض وقال : والله يا مسيلمة لإن سألتنى هذا العرجون ما أعطيته لك ، ووالله ما آراك إلا الكذاب ، وفي يوم آخر أرسل مسيلمة صحيفة إلى رسول الله تنص على : (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله : آلا إنى أوتيت الامر معك فلك نصف الأرض ولى نصفها ولكن قريش قوماً يظلمون) ، فأرسل له النبى : (**من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، السلام على من أتبع الهدى ، أما بعد ، فإن الأرض لله يرثها من يشاء من عباده والعاقبه للمتقين)** ، وأستمر أمر مسيلمة الكذاب حتى أدعى النبوة وتآمر مع أحد الناس واتفقوا على أن ينشروا خبر كاذب وهو أن محمد قال : (إن مسيلمة رسول مثله) **!!** ، فأرتد كثير من الناس بعد ذلك ، وأستمر الأمر حتى قُتل مسيلمة الكذاب بعد موت الرسول .

- **وفد أسد :**

قدم عشرة رجال من « بني أَسد بن خُزيمة » على رسول الله فِي أَول سنة 9 للهجرة ، ليعلنوا إسلامهم ، وفيهم : حضرمي بن عامر ، وضرار بن الأزور ، وطلحة بن خويلد ، وقتادة بن القايف .

فقال حضرمي بن عامر : « أتيناك نتدرع الليل البهيم ، في سنة شهباء ، ولم تبعث إلينا بعثاً » ، دلالة على أنهم يمنون على رسول الله (ص) بإسلامهم ، فنزل فيهم قوله تعالى : ﴿ **يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ ، وكان معهم قوم من بني الزنية .

- **وفد فزارة :**

لما رجع رسول الله (ص) من تبوك ، قدم عليه وفد « بني فزارة » في بعض من رجالهم ، فيهم : خارجة بن حصن ، والحر بن قيس

بن حصن ، جاءوا معلنين إسلامهم ، فسألهم رسول الله (ص) عن بلادهم ، فقال أحدهم : يا رسول الله أجدبت بلادنا ، وهلكت مواشينا ، فادع لنا ربك ، فصعد رسول الله (ص) المنبر ودعا لهم فمطرت ، فما رأوا السماء ستة أيام ، فصعد رسول الله (ص) المنبر فقال : **اللهم حوالينا ولا علينا** ، فوقف المطر .

- **وفد هلال بن عامر** :

قدم وفد زياد بن عبد الله بن مالك بن بجير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر على النبي (ص) ، فلما دخل المدينة توجه إلى منزل ميمونة بنت الحارث زوج النبي (ص) وكانت خالة زياد ، فدخل النبي (ص) وهو عندها ، فقالت : يا رسول الله هذا ابن أختي فدخل إليها ، ثم خرج حتى أتى المسجد ومعه زياد فصلى الظهر ، ثم أدنى زياداً فدعا له ، ووضع يدهُ على رأسه ثم حدرها على طرف أنفه ، فكانت بنو هلال تقول : ما زلنا نتعرف البركة في وجه زياد .

- **وفد كنانة** :

وفد واثلة بن الأسقع الليثي على رسول الله (ص) ، حيث قدم المدينة ورسول الله يتجهز إلى تبوك ، فصلّى معه الصبح ، فقال له : ما انت وما جاء بك وما حاجتك ؟ فأخبره عن نسبه وقال : أتيتك لأؤمن بالله ورسوله، قال له رسول الله : **فبايع على ما أحببت وكرهت** ، فبايعه ورجع إلى أهله فأخبرهم ، فقال له أبوه : والله لا أكلمك كلمة أبداً ، وسمعت أخته كلامه فأسلمت وجهزته ، فخرج راجعاً إلى رسول الله (ص) فوجده قد خرج إلى تبوك ، فقال : من يحملني عَقبهُ ولهُ سهمي؟ فحمله كعب بن عجرة حتى لحق برسول الله (ص) ، وشهد معه تبوك، فغنم فجاء بسهمه إلى كعب بن عجرة ، فأبى أن يقبلهُ وسوغهُ إياه ، وقال : إنما حملتك لله .

▪ وفد تجيب :

قدم وفد تجيب على رسول الله (ص) سنة 9 للهجرة ، وهم ثلاثة عشر رجلاً ، وجلبوا معهم صدقات أموالهم التي فرضها الله عليهم ، فسُرَّ رسول الله بهم ، وقال : مرحباً بكم وأكرم منزلتهم وحباهم ، وأمر بلالاً أن يُحسن ضيافتهم وجوائزهم ، وأعطاهم أكثر مما كان يُجيز به الوفد ، وقال : **هل بقى منكم أحد ؟** قالوا : غلام خلفناه على رحالنا وهو أصغرنا سناً ، فقال : أرسلوه إلينا فأقبل الغلام إلى رسول الله (ص) فقال : إني امرؤ من بني أبناء الرهط الذين أتوك آنفاً فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي ، قال رسول الله : **وما حاجتك ؟** قال : تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني ويجعل غناي في قلبي ، فقال : **اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه** ، ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجال من أصحابه ، فانطلقوا راجعين إلى أهليهم ، ثم وافوا رسول الله (ص) في موسم الحج بمنى في السنة العاشرة من الهجرة ، فسألهم رسول الله عن الغلام ، فقالوا : ما رأينا مثله أقنع منه بما رزقه الله ، فقال رسول الله : **إني لأرجو أن نموت جميعاً** .

رسائل النبي (ص وآله) إلى ملوك العالَم

عالمية الدعوة الإسلامية من ثوابت الدين وبديهيات شريعة سيد المرسلين ، قال تعالى (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**)[56] .

ومن عظمة الاسلام أنه وخلال فترة قياسية اصبح مهيئاً من جميع النواحي للعمل بصفته العالمية وامكانيته في هداية جميع البشرية ، فبعد أن بدأ من كهف صغير في أعالي جبال مكة المكرمة وهو غار حراء ، بقوله تعالى (**اقرأ باسم ربك الذي خلق**) ، وبعد أن أعطي في بداية أمره مساحة عمل صغيرة (**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**) ، إلّا أنه بعد مرور ثلاث سنوات فقط جاء الاذن السماوي لتوسيع مساحة الدعوة والانطلاق نحو أوسع دوائرها وأبعد مدياتها (**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**) ..

من هذا الثابت وبعد ان استقرّ الإسلام وضرب أطنابه على الأرض التي بدأ بها (قيام دولة في المدينة وفتح مكة وسائر مناطق الجزيرة العربية) .. نجد ان الرسول الأكرم صلوات الله عليه ومن منطلق المسؤولية الإلهية والحرص على عالمية الرسالة وإلقاء الحجّة (**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**) .. شرع بمراسلة ملوك وقادة العالم

---

56 سبأ ٢٨

ورؤساء أكبر الدول ودعاهم الى الإسلام ..!! وقبل أن نذكر نصوص ونماذج عن تلك المراسلات لا بد من التنويه الى بعض النقاط المهمة :

١. ان هذه الرسائل كما نوهنا تبيّن عظمة الإسلام وعالميته وامكانيته لهداية المجتمعات البشرية ، فكما ان هذه العالمية ثابتة على مستوى النص والتشريع ، فهذه الرسائل تثبتها لنا على مستوى السنّة والتطبيق ..

٢. الرسول هنا لم يدعو الناس كأقوام متفرقة او بدائية ، وانما دعاهم كدول قائمة وامبراطوريات عظيمة في زمانها ، مما يدل على قدرة الدين واستعداده لادارة تلك الدول بمؤسساتها المختلفة والعريقة ..

٣. هذه الرسائل تعتبر من أهم مستندات ومدارك بحوث وأفكار ومعتقدات علاقة الدين الإسلامي بالسياسة اهتمامه بها وأنها احدى اركانه الدعوية ووسائل الهداية لديه ، فها هنا الرسول يستعملها في أوسع ابوابها ولم يقتصر على سياسة وادارة أمور المسلمين وإنما ينفتح على السياسة الدولية ، الاقليمية والعالمية بحسب التعبير المعاصر ..

٤. الأثر العظيم الذي خلّفته هذه المخطابات كما سنرى ، فعلى أثرها أسلم النجاشي وآمن له هرقل ملك الروم ، وكان لملك مصر موقف ايجابي وتزعزع سلطان كسرى وآمن أحد ولاته وعمّاله .. منها نفهم أن الاسلام على أثر تلك الرسائل بات من أعظم أديان الأرض وله دولة لها هيمنة على كبرى دول الأرض في حينها ..

ومن أهمّ هذه الرسائل :

▪ **رسالته الى المقوقس حاكم مصر :**

{ بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فإني أدعوك بدعوة الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون } .

وحمل الرسالة الى المقوقس حاطب بن أبي بلتعة ، وتقول الرواية التاريخية إن المقوقس لما قرأ الرسالة قال لحاطب : **ما منع صاحبك إن كان نبياً أن يدعو على من أخرجوه من بلده فيسلّط الله عليهم السوء ..!**

فقال حاطب له : **" وما منع عيسى أن يدعو على أولئك الذين تآمروا عليه ليقتلوه فيسلط الله عليهم ما يستحقون ؟!** فقال المقوقس **أنت حكيم وجئت من عند حكيم " .**

وقد ردّ المقوقس على النبي صلى الله عليه وآله وسلم رداً جميلاً ، وأرسل له من مصر الهدايا وعلى رأسها السيدة مارية القبطية التي تزوّجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنجبت له إبراهيم عليه السلام ، وأختها سيرين التي أهداها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحسّان بن ثابت .

▪ **رسالته إلى هرقل ملك الروم :**

{ بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبدالله إلى هرقل عظيم الروم : سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعوة الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن تولّيت فعليك إثم جميع الآريسيين - الأتباع من أهل مملكته ، وهي في الأصل جمع أريسي وهو الحرّاث والفلاح - ، قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون } .

حمل الرسالة إليه دحية بن خليفة الكلبي ، فردّ عليه هرقل : **إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى من قيصر ملك الروم : إنه جاءني كتابك مع رسولك ، وإني أشهد أنك رسول الله نجدك عندنا في الإنجيل ، بشرنا بك عيسى بن مريم ، وإني دعوت الروم إلى ان يؤمنوا بك فأبوا ولو أطاعوني لكان خيراً لهم (ولوددت أني عندك فأخدمك وأغسل قدميك) .**

▪ **رسالته إلى النجاشي ملك الحبشة :**

{ بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الإسلام الى النجاشي ملك الحبشة : سلام عليك ، إني أحمد الله إليك ، الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد بأن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى فخلقه الله من روحه كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك

وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي ، والسلام على من اتبع الهدى } .

وردّ النجاشي بكتابٍ الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا نصه : **بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن ابجر ، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته ، لا إله إلا هو الذي هداني الى الإسلام ، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرته وقد عرفنا ما بعثت إلينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه فأشهد انك رسول الله صادقاً مصدقاً ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين ، وقد بعثت إليك يا نبي الله بأريحا بن الأصحم بن ابجر فإني لا أملك إلا نفسي ، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله فإني أشهد ما تقول حق .** وقد حمل الرسالة الصحابي عمرو بن أمية الضمري

- **رسالة النبي الى المنذر بن ساوي التميمي ملك البحرين :**

{ بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد : فإني أذكرك الله عز وجل ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه ، ومن يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ، ومن ينصح لهم فقد نصح لي ، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرا ، وإني قد شفعتك في قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم ، وإنك مهما تصلح ، فلن نعزلك عن عملك ، ومن أقام على يهودية او مجوسية فعليه الجزية } . وقد أوصل الرسالة العلاء بن الحضرمي .

▪ رسالة الرسول إلى ملوك عُمان : كتب صلى الله عليه وآله وسلم إلى ملك عُمَانَ كتابًا وبعثه مع عمرو بن العاص :

{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ إِلَى جَيْفَرٍ وَعَبْدٍ ابْنَيِ الْجُلَنْدَى ، سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ، أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أَدْعُوكُمَا بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ ، أَسْلِمَا تَسْلَمَا ، فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، لأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ، فَإِنَّكُمَا إِنْ أَقْرَرْتُمَا بِالإِسْلاَمِ وَلَّيْتُكُمَا ، وَإِنْ أَبَيْتُمَا أَنْ تُقِرَّا بِالإِسْلاَمِ فَإِنَّ مُلْكَكُمَا زَائِلٌ عَنْكُمَا ، وَخَيْلِي تَحُلُّ بِسَاحَتِكُمَا ، وَتَظْهَرُ نُبُوَّتِي عَلَى مُلْكِكُمَا } .

▪ **رسالته الى كسرى :**

أرسلها صلوات الله وسلامه عليه مع عبد الله بن حُذَافَة ، فقصد قصر كسرى واستأذن بالدخول عليه ، وأعلم أعوان الملك بالرسالة التي يحملها من النبيّ محمّد عليه الصلاة والسلام .

أمر كسرى بتزيين مكان جلوسه على عرشه وهو الإيوان ، واستدعى وزراءه وأمراءه ليحضروا مجلسه فأتَوْا ثم أعطى الإذن لعبد الله بن حُذَافَة فدخل ، وأشار كسرى إلى أحد رجاله ليأتي بالرسالة فقال له عبد الله : لا ، إنما أمرني رسول الله أن أدفعها لك يدًا بيد ، وأنا لا أخالف أمراً لرسول الله ، فدنا من كسرى حتى ناوله الرسالة فأعطاها لترجمانه ليقرأها ففتحها وبدأ بقراءتها .

قرأ الترجمان الرسالة فقال : { **بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمّد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ...** } ، وما إن سمع كسرى من الرسالة هذا المقدار اشتعلت نار الغضب في صدره ، لأن اسم نبينا محمد ذُكر قبل أسمه ، فجذب الرسالة من يد الترجمان وجعل يمزّقها دون أن يعلم ما فيها وهو

يصيح : " **أيكتب لي بهذا ، وهو عبدي ؟** " ثم أمر بعبد الله أن يُخْرَجَ فخرج .

ولما سكن غضب كسرى ، أمر أن يُدْخَلَ عبد الله إليه فلم يجدوه ، فلما قدم عبد الله على النبيّ عليه الصلاة والسلام أخبره ما كان من أمر كسرى وتمزيقه الرسالة ، فقال صلوات الله عليه : " **مزّق الله ملكه** " .

وكتب كسرى إلى نائبه " باذان " الذي كان حاكماً على اليمن ، أن يرسل جنديين إلى سيدنا "محمَّد" ويأتيا به إليه ، فبعث "باذان" رجلين إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الذي أبقاهما عنده يومًا آخر ، وفي اليوم التالي قال لهما الرسول : { **لن تلقيا كسرى بعد اليوم ، فلقد قتله الله حيث سلط عليه ابنه "شيرويه" في ليلة كذا ، من شهر كذا** } ، فخرجا وعادا إلى " باذان " الذي كان وصلت إليه رسالة من " شيرويه " يخبره بأنه قتل والده وحلّ مكانه ، فتأكّد عندها " باذان " من صدق النبيّ فقال أشهدُ أن لا إلهَ إلاّ الله وأشهدُ أنّ محمدًا رسول الله ، وأسلَمَ من كان معه من الفرس في بلاد اليمن .

ولقد بلغ عدد السفراء النبويين خمسة عشر سفيرًا ، استشهد واحد منهم فقط وهو في طريقه إلى ملك بصرى ، فقتل قبل أن يبلغ رسالة النبي محمد إلى ملك بصرى . ومزقت رسالة نبوية واحدة ، ولم تمزق غيرها من رسائل النبي محمد حتى من الذين لم يسلموا ، ورفض اعتناق الإسلام بشدة وبالتهديد كسرى أبرويز بن هرمز ملك الفرس ، والحارث بن شمر الغساني ملك الغساسنة في الشام . وصرف بالحسنى السفير النبوي كل من هرقل قيصر الروم ، والمقوقس ملك مصر ، وقدم المقوقس هدية للنبي .

سرايا الإسلام

تُعرف تاريخياً بسرايا الرسول ، وهي عبارة عن بعثات عسكرية مصغرة تكلّف بمهام معينة تؤديها في مناطق مختلفة تقرب أو تبعد عن المدينة المنورة ، تختلف عن الغزوات والحروب التي خاضها المسلمون .. وقد اصطلح أهل السّير على تسمية الجيش الذي خرج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فيه قاصدًا قتال الكفار بالغزوة ، وأنَّ الجيش الذي لم يخرج النبي عليه السلام فيه فيعرف بالسريّة والبعث ، وقال أهل السير أن جميع ما غزا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بنفسه ستّ وعشرون غزوة ، وإن جميع سراياه التي بعثها ولم يخرج معها ستّ وثلاثون سريّة ، وقاتل (صلى الله عليه وآله) من غزواته في تسع غزوات ، وهي (بدر، وأحد ، والخندق ، وبنو قريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف ، ويتحدث المفكرون والكتّاب عن أهداف وأغراض كثيرة حققتها هذه السرايا ، منها :

١. تعتبر دورات سريعة ومكثفة لفنون الحرب والقتال والتدريب على مهام عسكرية خاصة ..

٢. أعطت للعدو صورة عن المسلمين مغايرة عن الانطباع السابق عنهم ، والمتمثل بالضعف وقلة الامكانيات البشرية واللوجستية ، مما شكل حالة من الردع المسبق عند الآخرين ..

٣. استطاعوا من خلالها تأمين مساحة واسعة تصل الى مضارب مكة والطائف والبحر .. بعد أن وصلوا اليها وأدّوا مهامّاً نوعية فيها ..

٤. حققوا من خلالها أغراضاً مختلفة ومتنوعة بتنوع هذه السرايا وبحسب الوجهة والقائد المكلف وعدد الجنود الذين معه .. الخ ، كاعتراض قوافل تجارية تعود للمشركين ، أو رصد أخبارهم ، او مصادرة بعض الغنائم .. الخ

هذه بعض السرايا التي جاءت في تواريخ المسلمين ، نعرضها بشيء من الاختصار من أجل اعطاء صورة عامة عنها :

- **سِيف البحر** :

وكانت أولى هذه السرايا الاستطلاعية سرية "سيف البحر" في ٣ شهر رمضان من السنة الأولى من الهجرة ، الموافق سنة 623 م .

وسيف البحر ، يعني : ساحل البحر ، بكسر السين وليس بفتحه .

وقد أمّر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - على هذه الغزوة سيدنا حمزة بن عبدالمطلب - رضوان الله تعالى عليه - في ثلاثين رجلًا من المهاجرين ، يعترضون تجارة لقريش جاءت من الشام ، كان عليها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل من المشركين .

وقد بلغ حمزة وأصحابه سِيف البحر من ناحية العيص - مكان بين ينبع والمروة ناحية البحر الأحمر - فالتقوا واصطفوا للقتال ، لكن لم

يحدث قتال فعلي ، فقد حال بين الفريقين مجدي بن عمرو الجهني ، وكان حليفاً للفريقين ، فحجز بينهم ولم يقتتلوا .

وكان لواء حمزة أول لواء عقده رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلّم - وكان أبيض اللون ، وكان حامله مرثد كناز بن حصين الغنوي .

▪ سرية عبيدة بن الحارث (سرية رابغ) .

أرسل الرسول الأكرم سرية بقيادة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب في شوّال من السنة الأولى للهجرة ، ومعه ستون أو ثمانون راكباً من المهاجرين ليس فيهم أنصاري ، وعقد له لواء أبيض ، وذلك لكي يعترض عيراً لقريش يحرسها مئتا رجل من أهل مكة على رأسهم أبو سفيان بن حرب .

فسار عبيدة ومن معه من المسلمين حتى التقوا بعير قريش ببطن رابغ - وهو واد بين الحرمين قرب البحر على بعد عشرة أميال من الجحفة - ولذا سُميت بسرية رابغ أيضا ، ولم يكن بين الفريقين قتال ، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، ثم انصرف القوم .

وبعد انصراف كل منهما وفرار المشركين إلى مكّة خوفاً من أن يكون للمسلمين كمين أو مدد ، فرّ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراني وعتبة بن غزوان وكانا مسلمَين .

▪ سرية نخلة (وادي نخلة بين مكة والطائف)

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن جحش الأسدي إلى (نخلة) بـ ١٢ رجلًا من المهاجرين ، كل اثنين يعتقبان على بعير . وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ولما فتحه وجد الأمر بالنزول لهذا الوادي ورصد أخبار قريش ، فقال : سمعاً وطاعة .

وأخبر أصحابه بأنه لا يستكرههم ، فمن أحب الشهادة فلينهض ، فنهضوا كلهم ، غير أنه لما كان في أثناء الطريق أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه ، فتخلّفا في طلبه ..!!

وبالفعل سار عبد الله بن جحش حتى نزل بنخلة ، فمرّت قافلة لقريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة ، وفيها عمرو بن الحضرمي وعثمان ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان مولى بني المغيرة ، وكانت لهم مهابة في نفوس المقاتلين لما خرج عكاشة بن محصن حالقاً رأسه ، فظنوهم معتمرين لبيت الله ، لكنهم أيضاً تحيروا في قتالهم لأنه كان اليوم الأخير من رجب الشهر الحرام .

وكان إجماعهم بالقتال ، فرمى واقدٌ بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله ، والحاكم بن كيسان وأفلت نوفل بن عبد الله .

وقد وزع أمير السرية الغنائم واقتطع الخمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك قبل أن تفرض الآية { **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى**

وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ }[57] ، وكان بالسرية أول قتيل وأول أسيرين بغزوات المسلمين .

لكن النبي الحبيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنكر ما فعلته السرية ، وقال : **" ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام "** ، وأوقف التصرف في العير والأسيرين ، وكانت قريش قد استغلت الواقعة للدعاية ضد النبي وصحبه ، بأنهم قد استحلوا الشهر الحرام ، وكذلك فعل اليهود ، ووقع المقاتلون المسلمون بحيرة وغم ، حتى نزل الوحي حاسماً ، وأن ما عليه المشركون أكبر وأعظم مما ارتكبه المسلمون قال تعالى : { **يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }**[58] .

فقد صرّح الوحي بأن الضجة التي افتعلها المشركون لا مساغ لها ، فإن الحرمات المقدسة قد انتهكت كلها في محاربة الإسلام ، واضطهاد أهله ، ألم يكن المسلمون مقيمين بالبلد الحرام حين تقرر سلب أموالهم وقتل نبيهم ؟ فما الذي أعاد لهذه الحرمات قداستها فجأة ، فأصبح انتهاكها معرة وشناعة **؟!**

وبعد ذلك أطلق رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم سراح الأسيرين عثمان والحكم في مقابل إطلاق قريش لسعد وعيينة ، وأدى دية المقتول إلى أوليائه .

---

57 الأنفال ٤١

58 البقرة ٢١٧

ومن المعروف أن الحكم أسلم فيما بعد وتزوّج من أخت عثمان بن عفان وقُتل شهيدًا يوم بئر معونة ، وأمّا صاحبه الأسير عثمان فمات على كفره بمكة .

▪ سرية القردة

وحصلت في جمادى الأخرة سنة ٣ هـ ، عند بئر ماء بنجد يدعى القردة .

فلما كانت وقعة بدر خافت قريش الطريق التي كانوا يسلكونها إلى الشام من على بدر ، فسلكوا طريقاً أخرى من جهة العراق .

فخرج عير لهم فيه أموال كثيرة جدًا من تلك الطريق يريدون الشام ، واستأجروا رجلًا يدلهم على الطريق ، وكان ذلك الرجل ممن هرب من أسارى بدر .

وفي ذلك العير من أشراف قريش : أبو سفيان ، وصفوان بن أمية ، وعبد الله بن أبي ربيعة ، وحويطب بن عبد العزى .

وقد قال صفوان بن أمية لقريش - وهو الذي انتخبته قريش هذا العام لقيادة تجارتها إلى الشام - : (**إن محمدًا وصحبه عوروا علينا متجرنا ، وهم لا يبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وادعهم أي : عاهدهم ودخل عامتهم معه ، وإن أقمنا في دارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا ، فلم يكن لها بقاء . وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف ، وإلى الحبشة في الشتاء**) .

واقترح الأسود بن عبد المطلب أن يسلكوا طريق العراق ، وكانت طريق طويلة جدًا تخترق نجدًا إلى الشام ، وتمر في شرق المدينة على بعد كبير منها ، ولهذا اتخذوا فرات بن حيان من بني بكر بن وائل دليلًا .

فبعث الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم زيد بن حارثة في مائة راكب ، وهي أول سرية لزيد بن حارثة خرج فيها أميراً - كما يذكر الحلبي- فصادف تلك العير على ذلك الماء فأصاب العير ، وأفلت القوم وأسروا دليلهم .

وقدم زيد رضي الله عنه بتلك العير على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فخَمَّسَها فبلغ الخمس ما قيمته عشرون ألف درهم ، وقد كان أمر الله باقتطاع الخمس للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأصحاب الحاجة من المسلمين ثم توزيع الباقي على المقاتلين ، وأُتِي بذلك الأسير إلى رسول الله ، فقيل له إن تسلم تترك أي : من القتل ، فأسلم فتركه رسول الله وحسن إسلامه بعد ذلك .

وهي آخر وأنجح دورية للقتال قام بها المسلمون قبل غزوة أحد ، وكانت من أسبابها .

- **سرية القرطاء**

في محرم سنة ٦ هـ ، بمنطقة القرطاء بناحية البكرات من أرض نجد ، وتبعد سبع ليال عن المدينة .

تحركت السرية ١٠ محرم لسنة ٦ هـ إلى بطن بني بكر بن كلاب ، فلما أغارت عليهم هرب سائرهم ، فاستاق المسلمون نعمًا وشاء ، وقدموا المدينة لليلةٍ بقيت من المحرم ومعهم ثمامة بن أثال الحنفي سيد بني حنيفة ، فأخذه المسلمون ، فلما جاءوا به ربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : « **ما عندك يا ثمامة ؟** » فقال عندي خير يا محمد إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فتركه ، وتكرر الأمر ثلاثا ، فقال النبي صلى الله عليه

وآله وسلم لما علم صدقه : « **أطلقوا ثمامة** » ، فأطلقوه ، فذهب إلى نخل قريب من المسجد ، فاغتسل ، ثم جاءه فأسلم .

وقال ثمامة قولته المشهورة : **والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلي من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي ، ووالله ما كان على وجه الأرض دين أبغض من دينك ، فقد أصبح أحب الأديان إلي ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة** ، فبشره رسول الله ، وأمره أن يعتمر .

لما قدم ثمامة على قريش قالوا : صبأت يا ثمامة ، قال : لا والله ولكني أسلمت مع رسول الله ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ، وكانت اليمامة تشبه ريف مكة يأتون منها بالطعام ، فانصرف إلى بلاده ، ومنع الحمل إلى مكة ، حتى أرهقت قريش ، وكتبوا إلى رسول الله يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يخلي إليهم حمل الطعام ، ففعل رسول الله .

- **سرية الغمر**

سرية عكاشة بن محصن إلى الغمر (بفتح الغين المعجمة وسكون الميم والراء) : ماء لبني أسد ..

وجه رسول الله عكاشة بن محصن الأسدي في أربعين رجلا منهم ثابت بن أرقم ، وقيل إن ثابتا هو الذي كان الأمير على هذه السرية ، فخرج يسرع في السير إلى أن وصل إلى الماء المذكور ، فوجد القوم علموا بهم فهربوا ولم يجدوا في دارهم أحدا ، فبعث شجاع بن وهب طليعه يطلب خبرا ويرى أثرا فأخبر أنه رأى أثر نعم قريبا ، فخرجوا فوجدوا رجلا نائما ، فسألوه عن خبر الناس ؟ فقال : وأين الناس ، لقد لحقوا بعليات بلادهم ، قالوا : فالنعم ؟ قال : معهم ،

فضربه به أحدهم بسوط في يده،د ، فقال : تؤمنوني على دمي وأطلعكم على نعم لبني عم له لم يعلموا بمسيركم إليهم ، قالوا نعم ، فأمنوه فانطلقوا معه ، فأمعن (أي بالغ في الطلب) حتى خافوا أن يكون ذلك غدرا منه لهم . فقالوا : والله لتصدقنا أو لنضربن عنقك ، فقال : تطلعون عليهم من هذا المحل ، فلما طلعوا منه وجدوا نعما رواتع ، فأغاروا عليها ، فاستاقوها ، فإذا هي مائة بعير وشردت الأعراب في كل وجه ولم يطلبوهم ، وانحدروا إلى المدينة بتلك الإبل ، وأطلقوا الرجل الذي أمنوه .

معاهدات الرسول

تأخذ المعاهدات والمواثيق التي عقدها المسلمون في عهد النبي صلوات الله وسلامه عليه مع باقي المجتمعات على اختلاف معتقداتهم وتوجهاتهم (مشركون - يهود - مسيحيون - قبائل ..) مساحة واسعة ومهمة في تاريخ الفقه السياسي للإسلام ، فكما أن هنالك حروباً وغزوات ، فإن هناك معاهدات وتحالفات واتفاقات للتعايش السلمي وتنظيم بعض الجوانب الضرورية للمتعاهدَين .. وكان لهذا الجانب نتائجه وايجابياته في تشكيل الدولة الاسلامية واعطاء الشخصية المعنوية والرسمية للمسلمين .

وفي القرآن الكريم وسنّة سيد المرسلين نماذج وتفصيلات كثيرة عن عدد من المعاهدات التي عقدها النبي مع الآخرين ، مما يشير الى الأهمّية التي يحتلّها هذا الإجراء النبوي ، قال تعالى (**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) الإسراء: 34 ، وقال تعالى (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)**[59] . ويسمي القرآن الكريم صلح الحديبية فتحاً ، وهو من المعاهدات المهمة التي نظّمها النبي مع مشركي مكة ، ترسم العلاقة بينهما ، ومن ضمنها

[59] التوبة ٤

تجارة قريش وعمرة المسلمين وزيارتهم للكعبة .. وكانت مدتها عشر سنوات الا أنها خُرقت في تفصيل مذكور في محلّه ..

وهذه المعاهدات تعطي للإسلام قصب السبق في التعايش المدني المتقدم للبشرية ، فبعد مرور أكثر من ١٤٠٠ سنة نلاحظ أن المعاهدات والمواثيق الدولية في المجتمعات المعاصرة تعتبر من أهم إجراءاتها الدبلوماسية والتجارية والاقتصادية والعسكرية والعلمية والصحية .. الخ .

فيما يلي بعض نماذج تلك المعاهدات التي عقدها النبي ، وذلك لإعطاء فكرة عامة عنها :

- **معاهدة رسول الله نصارى جرباء وأذرح**

فتح المسلمون أذرُحُ والجَربَاء في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنة تسع صلحاً ، وذلك لمّا حلّ جيش المسلمين في أرض تبوك ، وعلم جنود الروم بكثرة جنود الإسلام وبشهامتهم وتضحيتهم النادرة الّتي شهدوا نموذجاً منها عن كثب في غزوة مؤتة ، رأوا من الصالح أن ينسحبوا إلى داخل بلادهم ، وأن لا يواجهوا المسلمين . وهناك خشي الحكام والولاة في المناطق المجاورة ، فاتصلوا برسول الله شخصياً وهم زعماء أيلة – العقبة - وأذرح والجرباء .

وعاهد رسول الله نصارى جرباء وأَذْرُح (وهما قريتان متجاورتان ، ومتلازمتان في الذكر ، تقعان شَمَالَ غَرْبِيّ مَدِينَةِ مَعَانَ في الأردن) ، فقد جاء في كتاب رسول الله لهم : **" هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ لأَهْلِ أَذْرُح ، أَنَّهُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللهِ وَمُحَمَّدٍ ، وَأَنَّ عَلَيْهِمْ**

مِائَةُ دِينَارٍ فِي كُلِّ رَجَبٍ وَافِيَةً طَيِّبَةً ، وَاللهُ كَفِيلٌ عَلَيْهِمْ بِالنُّصْحِ وَالإِحْسَانِ لِلْمُسْلِمِينَ "[60] .

أمَّا معاهدته صلوات الله عليه مع نصارى أيْلة فجاءت بعد عفو رسول الله ومعاملته الكريمة لنصارى دومة الجندل ، حيث قدم (يُحَنَّة بن رؤبة) ملك أَيْلة وما حولها - وكان نصرانيًّا - على رسول الله وهو في تبوك ، وهو ما رواه جابر : رأيت يُحَنَّة بن رؤبة يوم أتى النبيَّ وعليه صليب من ذهب وهو معقود الناصية ، فلمَّا رأى النبيَّ كفَّر وأومأ برأسه (أي : طأطأ رأسه خضوعًا ووضع يده على صدره) ، فأومأ إليه النبي : " ارْفَعْ رَأْسَكَ " ، وصالحه يومئذٍ ، وكساه بُردًا يمانيًّا[61].

وقد كان نصُّ الصلح : **" بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذِهِ أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ ، ومُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللهِ لِيُحَنَّةَ بْنِ رُؤْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ ، سُفُنُهُمْ وَسَيَّارَتُهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ لَهُمْ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَهْلِ الْيَمَنِ ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لاَ يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ .. وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ .. وَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءً يَرِدُونَهُ ، وَلاَ طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ "**[62] .

- **معاهدات رسول الله مع يهود المدينة**

---

60 انظر ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١ / ٢٩٠ .. وابن كثير ، السيرة النبوية ، ٤ / ٣٠

61 البيهقي في السنن الكبرى ٩ / ١٨٥

62 ابن هشام ، السيرة النبوية ٢/ ٥٢٥ ، ٥٢٦

عقد رسول الله المعاهدة مع يهود المدينة بعد هجرته إليها مباشرة وفي أوائل أيامه بها ، وقد جاء في نصوص المعاهدة ما يلي[63] :

1- أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم .

2- وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم .

3- وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

4- وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم .

5- وأنه لا يأثم امرؤُ بحليفه .

6- وأن النصر للمظلوم .

7- وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

8- وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .

9- وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو شجار يخاف فساده فإن مردَّه إلى الله ، وإلى محمد رسول الله .

10- وأنه لا تُجَارُ قريشٌ ولا مَن نَصَرَهَا .

11- وأن بينهم النصر على من دَهَم يثرب .. على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قِبَلَهُمْ .

12- وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم .

▪ ولقد عاهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بني ضمرة من قبائل العرب حول المدينة سنة 2 للهجرة ، وهذا نص ذلك العهد : (**هذا كتاب محمد رسول الله لبني ضمرة ، بأنهم آمنون على أموالهم**

---

[63] انظر سيرة ابن هشام ١ / ٥٠٣

وأنفسهم ، وأن لهم النصر على من رامهم ، إلا أن يحاربوا في دين الله ، ما بل بحر صوفة ، وإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا دعاهم إلى النصرة أجابوه ، عليهم بذلك ذمة رسوله ، ولهم النصر من بر منهم واتقى) .

▪ صلح الحديبية

معاهدة عُقدت بين مشركي قريش ورسول الله في منطقة الحديبية ، وقد وردت الإشارة لها في سورة الفتح . ففي شهر ذي القعدة من سنة 6 هـ رأى رسول الله في الرؤيا أنه دخل البيت الحرام وحلق رأسه ووقف في عرفات ، وقد صدّق الله تعالى رؤيا نبيه بقوله : ﴿ **لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً** ﴾ .

بعد هذا الوعد الإلهي استنفر رسول الله أهل المدينة والعرب ومن حوله من أهل البوادي ليخرجوا معه ، وكان يخشى أن تعرض له قريش بحرب أو يصدوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول اللّه بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحِق به من العرب ، وساق معه الهدي ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له ، وقال الشيخ المفيد : كان اللواء يومئذ إلى أمير المؤمنين كما كان إليه في المشاهد قبلها .

اختلف المؤرخون في عدد المسلمين الذين خرجوا مع النبي الأكرم إلى الحديبية ، فقد قالوا : كان عددهم ألف وستمائة ، ويقال : ألف وأربعمائة ، ويقال : ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلا .

منعت قريش من دخول المسلمين مكة بعد أن أرسل لهم النبي الأكرم مبعوثاً ليخبرهم بمجئ المسلمين وسبب مجيئهم . وصل خبر

للمسلمين عن مقتل موفدهم لقريش ، فاجتمعوا حول النبي وبايعوه تحت الشجرة على الموت وسميت هذه البيعة بـ (بيعة الرضوان) ، وبعد أن تبين كذب خبر الموفد جاء وفد من قريش لرسول الله (ص) ووقّعوا معه معاهدة نصّت على بعض الأمور ومنها عقد هدنة لمدة عشر سنوات بين الطرفين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنّ بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل ، وأنه من أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل ، وأنه من أتى محمدا منهم بغير إذن وليه رده محمد إليه . وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يردوه ، وأن محمداً يرجع عنا عامه هذا بأصحابه ، ويدخل علينا من قابل في أصحابه فيقيم بها ثلاثا ، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر : السيوف في القرب .

لم يستمر صلح الحديبية كثيرا ، فقد نقضت قريش المعاهدة بعد عامين بمناصرتهم بني بكر بالسلاح وقتالهم معهم ضد خزاعة الذين كانوا من الداخلين في عقد رسول الله .

وغيرها الكثير من المعاهدات والاتفاقات المهمة وذات الاغراض المختلفة والتي أشرف علبها الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه .

كلام في أخلاق النبي

من الخطأ المنهجي في الكتابة عند التحدث عن أخلاق النبي الأكرم أن لا ننتبه الى النقاط التالية :

أولاً : أن أخلاق النبي لا تنحصر بالأخلاق الشخصية التي صدرت عنه وسجلها التاريخ على مستوى الفعل فقط ، وانما تشمل أخلاق الإسلام التي جاء بها صلوات الله عليه والتي جاءت في الشريعة (قرآن وسنّة) ، فكلها هي أخلاق نبوية ، (**وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ**)[64] ، وكان خُلُقه القرآن كما ورد .. وعلى هذا الأمر فإن أخلاق النبي تشمل الأخلاق التي يمارسها الفرد والأخلاق التي يمارسها المجتمع ..

ثانياً : ينبغي مقارنة أخلاقه صلوات الله وسلامه عليه بأخلاق زمانه وأخلاق البيئة التي كان يعيشها ، ليتبين الفارق ولتتضح العظمة والتميّز على أصوله .. وسنذكر في هذه النقطة بعض أخلاق الجاهلية

---

64 الزمر ١٢

في القرآن الكريم والتي عمل الإسلام على مقتها وقلعها من جذورها الاجتماعية لتكون لدينا صورة عامة عنها :

١. الجور والباطل في الحكم ، قال تعالى (**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**)[65] .

٢. الظن بالسوء ، قال تعالى (**وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ۖ**)[66] .

٣. تبرج النساء ، قال تعالى (**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ**)[67] .

٤. الحمية والعصبية العمياء ، قال تعالى (**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ**)[68] .

٥. حرّم القرآن أفعالاً كانت منتشرة ودعى الى محاسن الأخلاق ، قال تعالى (**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**)[69] .

٦. احتقار النساء ، قال تعالى (**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**)[70] .

٧. الزنا ، قال تعالى (**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**)[71] . وقال تعالى (**وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا**

---

65 المائدة ٥٠

66 ال عمران ١٥٤

67 الأحزاب ٣٣

68 الفتح ٢٦

69 الأنعام ١٥١

70 النحل ٥٨

71 الاسراء ٣٢

لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[72] .

٨. الخمر والقمار ، قال تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**)[73] .

ثالثاً : من الخطأ ايضاً ان نناقش كل خلق على حده بدون ان ننظر الى تفاعل هذه الأخلاق فيما بينها بالشكل الذي انتجت لنا الشخصية المحمدية والاسلامية بالكامل ، فتارة نتناول بعض جوانب الشخصية ولكن لا نتناول المنتج النهائي لتلك الجوانب .. وهذه منهجية غير صحيحة ، وكذا في المقابل ، فقد يتم الحديث عن بعض أخلاق الجاهلية الحسنة ، كالكرم مثلاً والوفاء بالعهد والشجاعة وسرعة النجدة .. الخ ، الا أنه لا بد أن ننظر الى مجموع الخلطة الأخلاقية اذا صح التعبير وماذا انتجت لهم ، فقد تستعمل الشجاعة في الظلم ، وقد يكون الكرم تبذيراً والنجدة عصبية .. الخ .

رابعاً : ان ننتبه الى الالتزام العالي بتلك الأخلاق والوصف الفائق في هذا الالتزام من قِبلهِ صلوات الله عليه الى الدرجة التي دعاه القرآن الكريم في عدد من الآيات الى مراعاة نفسه في ذلك ، فنسمع القرآن يقول له (**طه ، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ**) ، والقرآن الذي يدعو للرحمة والنصيحة في المهمّة والمسؤولية نراه يقول للرسول (**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**) اي يقتل نفسه حزناً ، وقوله تعالى (**فلا تذهب نفسك عليهم حسرات**) ، ونراه من فرط أخلاقه ورحمته مع ازواجه يحرّم على نفسه ما أحلّ الله له (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) ..

---

[72] النور ٣٣

[73] المائدة ٩٠

خامساً : الأذى الذي تحمّله النبي بسبب استغلال الآخر لأخلاقه العالية ، فأخلاق النبي جرّأت الكثير معه وجعلتهم يتجاوزون حدود أدب التعامل معه احياناً ، مما أدّى الى معالجة بعض هذه التصرفات قرآنياً ، ومنها مثلاً :

١. مناداته بألفاظ يريدون من وراءها الحطّ منه منزلته ، حتى قال تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)[74] ، فلفظ (راعنا) كان له معنى الشتم عند اليهود ..

٢. كانوا ينادون رسول الله بإسمه ، حتى نهاهم القرآن الكريم بقوله (**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ**)[75] ، فمن أدب الكلام معه صلوات الله عليه ان ينادى يا رسول الله او يا سيدي مثلاً ..

٣. نهاهم الله تعالى عن مناداة الرسول بصوت مرتفع من وراء الحجرات وبشكل منافٍ للأدب ، قال تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**)[76] .

٤. تهذيب مسألة الدخول الى بيت النبي والمكث او الطعام فيه ، قال تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ**

---

[74] البقرة ١٠٤

[75] النور ٣٣

[76] الحجرات ٤

تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا)[77] .

٥. ظاهرة الاستهزاء والتكذيب والاتهام بالسحر والجنون .. الخ ، قال تعالى (**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**) [78] ، وقال تعالى (**وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ**)[79] ، وقال تعالى (**وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ**)[80] .

ماذا اكتسب المسلمون من أخلاق نبيهم ..؟

ليست أخلاق النبي الأعظم صلوات الله عليه سلعةً للتفاخر أمام الأمم بقدر ما هي موضوع للاقتداء والتأسّي ، فبحجم ما ينعكس في الأمة (على مستوى الفرد والمجتمع) من أفكار وروح وأخلاق عظمائها بقدر ما لها الحق بالافتخار ورفع الرأس بما كان عليه هؤلاء القادة والعظماء ، أما عند خلاف ذلك ، اي عندما تبقى تلك الأخلاق والسلوكيات عبارة عن تراث شعبي أو مثاليات وأخلاقيات خارج إطار العمل والتطبيق ، فإن تلك الأمة أو الجماعة ستكون أولى بالإنتقاد من غيرها وأحقّ بالمحاكمة لعدم الالتزام بما تتشدق به ، قال تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**)[81] .

---

[77] الأحزاب ٥٣

[78] الأنعام ١٠

[79] ص ٤

[80] القلم ٥١

[81] الصف ٣

وكثيراً ما نسمع مقولة (في الغرب اسلام بغير مسلمين ، وفي الشرق مسلمون بغير اسلام) إشارة الى هذا الفارق في المستوى بين التنظير والتطبيق ، وبغض النظر عن صدق المقولة ودقتها ، الا أنه انتقاد قاسي في الواقع وفيه إهانة وتوبيخ بشكل واضح للمسلمين ..

فعندما نتجول في أسواقنا ومصانعنا ومحافلنا ومجالسنا ومعاهدنا العلمية وسائر مرافقنا .. فإننا سنجد الكثير من الأخلاقيات المخالفة لروح الشريعة بل وظاهرها ، فبين ما هو دخيل ومستورد من ثقافات أخرى ، وبين ما هو موروث من عادات جاهلية قد حاربها الإسلام .. !

أخلاق الرسول والتي هي أعلى مستوى لأخلاق الإسلام من أهمّ موارد الأمة وأهم طاقاتها ، وهدر هذه الطاقة ذات الايرادات النافعة والمتنوّعة للأمّة تعتبر أعظم خسارة وأعلى طاقة ضائعة .. فمن الأخلاق الصدق والنصيحة ، ومن الأخلاق القناعة والتدبير ، ومن الأخلاق الشجاعة والمروءة ، ومن الأخلاق الأمانة ، والصبر والحلم .. وتدبر بهذه المكارم وانظر بعوائدها الاقتصادية والسياسية والعلمية والاجتماعية والنفسية والصحية وحتى العسكرية والأمنية .. **!!**

انما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : (**حُسنُ الخُلقِ يَزيدُ في الرِّزقِ ، ويُؤْنِسُ الرِّفاقَ**)[82] . وعن الإمام الصادق عليه السلام : (**إنَّ البِرَّ**

[82] ميزان الحكمة ج٣ ح ٥٠٧٦

وحُسنَ الخُلقِ يَعْمُرانِ الدِّيارَ ، ويَزيدانِ في الأعْمارِ)[83] . وعنه عليه السلام : (**مَن ساءَ خُلقُهُ ضاقَ رِزْقُهُ**)[84] .

اذن لا تفاخر بأخلاق الرسول دون التخلّق به ..

---

[83] نفس المصدر ، ح ٥٠٧٧

[84] نفس المصدر ٥١٠٦

الصفات العالية للرسول الأكرم

(وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)

وصف القرآن الكريم الرسول الأمين بصفات حسنة وجميلة ، ولكن ما يُلتفت إليه أنه لم يكتف بذكر مطلق وجود الصفة وانما أعطاها أعلى الدرجات وأكمل المستويات ، فوصف (أخلاق الرسول) بالعظيمة .. قال تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)[85] ، ووصفه بالرحمة للعالمين .. قال تعالى (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**)[86] ، وهدايته بالصراط المستقيم .. قال تعالى (**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**)[87] .

مما يشير الى أن رسالته التى أُرسل بها تحتاج الى هذا المستوى العالي من الخُلق والرحمة والهداية ، فالمهام الجسيمة ينبغي ان يتحلّى صاحبها باستعدادت وامكانيات تتناسب والمهمة القائم بها ، والنسبة طردية بينهما .. خاصة اذا كانت الرسالة مرسلة الى كون بأكمله ، بأتعابه ومشاغباته ومشاكساته واعتراضاته وردود أفعاله .. الخ ،

---

[85] القلم ٤

[86] الانبياء ١٠٧

[87] الشورى ٥٢

فينبغي ان يستوعب الرسول ذلك كله ما دام ضمن نطاق مسؤوليته ورسالته ..

فلا يحتاج الإنسان الاعتيادي صاحب المسؤوليات الطبيعية الى هكذا درجات عالية من الصفات الحميدة ، وعليه .. ينبغي لنا أن نفهم أن (الأخلاق) و (الرحمة) و (الهداية) التي يتحلّى بهما رسول الله ليست فقط من نوع ما نفهمه نحن من أخلاق ورحمة بيننا وفي تعايشنا واجتماعنا ، بل أن لكل جهة من المخلوقات المتنوعة والمتكثرة أخلاقها ورحمتها التي تفهمها وتحتاجها وتتناسب معها ..

فإذا كانت أخلاقه صلوات الله عليه مع الناس من قبيل (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**)[88] ، وقوله تعالى (**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيم**)[89] ، وكما شهدت له زوجته أم المؤمنين سيدتنا خديجة الكبرى في مبدأ الوحي [**أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا ، ووالله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكلّ وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق**] . وأن رحمته كانت في الحرب وفي السلم ، مع الصديق والعدو ، ففي غزوة أحد قد أُستشهد عمّه حمزة أسد الله ورسوله رضوان الله تعالى عليه ، ومُزّق جسده تمزيقاً ، وشُجّ رأس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وكُسِرت رباعيّته ، وغطّى الدم جسده الشريف ، وكان يدعو في مقابل أذى أهل مكّة له : " **اللهمّ اغفر لقومي إنّهم لا يعلمون** " .. فإن لباقي الموجودات كان لها نصيب من أخلاقه ورحمته ايضا ، تسعها وتنفعها ايضا ،

---

88 ال عمران ١٥٩

89 التوبة ١٢٨

في المجمع عن النبي صلى الله عليه وآله إنه قال لجبرئيل لما نزلت هذه الآية (**وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**) هل أصابك من هذه الرحمة شيء ..؟ قال نعم إني كنت أخشى عاقبة الأمر ، فآمنت بك لمّا أثنى الله عليّ بقوله (**ذي قوة عند ذي العرش مكين**)[90] .

وأخلاقه ورحمته صلوات الله عليه تسع حتى الحيوانات ، عن عبد الله بن جعفر قال : [أردفني رسول الله (صلى الله عليه - وآله - وسلم) خلفه ذا يوم فأسر إليَّ حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس ، وكان أحب ما استتر به رسول الله (صلى الله عليه - وآله - وسلم) لحاجته هدفاً أو حائش نخل ، قال : فدخل حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جملٌ ، فلما رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) حن وذرفت عيناه ، فأتاه النبيُ (صلى الله عليه - وآله - وسلم) فمسح ذفراه ، فسكت ، فقال : (من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل؟) فجاء فتىً من الأنصار ، فقال : لي يا رسول الله ! فقال : (أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها ، فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه)][91] .

وله تعامله النبوي مع الجن ايضاً ، ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود أن رسول الله (صلى الله عليه - وآله - وسلم) قال : (أتاني داعي الجن فذهبت معه ، فقرأت عليهم القرآن) . قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، وسألوه الزاد فقال : (لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم ، أوفر ما يكون لحماً ، وكل بعرة علف لدوابكم) . فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم)[92] .

---

90 تفسير الصافي للفيض الكاشاني ج٣

91 سنن أبي داود رقم كتاب الجهاد ، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم (23/3) رقم (2549)

92 صحيح كسلم ١ / ٣٣٢

فكل شيء في هذا الوجود ، من انسان وحيوان وجماد وجن وملائكة ..الخ له نصيب من خلق الرسول ومن رحمته ، ولهذا كانت أخلاقه ورحمته من العظمة والسعة ما تعطي لكل موجود نصيباً منها ..

لا تأريخ للعرب يُفتخر به قبل الإسلام

صدّعوا رؤوسنا في كتب المناهج المدرسية وأحاديث المحدّثين وقصص وروايات القاصّين .. بأخلاق العرب وطباعهم الحميدة ، من شجاعة وشهامة وكرم ..

واعتقد ان هذه الأمور من أكذب ما نُقل من تأريخٍ عن حياة العرب - قبل الإسلام خاصة - ، ولهذا الكذب أسبابه : فأمّا أن يكون بسبب تعميم حالات نادرة على كل العرب ، كتعميم كرم حاتم الطائي ، أو تعميم شجاعة عنترة أو وفاء السموأل .. الخ ، وأمّا بسبب تأطير وتبرير الأخلاق السيئة بإطر المحاسن والصفات الحميدة ، مثل تأطير جريمة وأد البنات بالخوف من إلحاق العار ، ونصرة الأخ حتى لو كان ظالماً بالحميّة .. الخ ، ومن الكذب أيضاً عندما يتم التركيز على ما يهبهُ العربي لا على ما ينهبه ..!!

ولعل الشعر الوارد عن تلك الفترة على رأس أسباب التاريخ الكاذب وتجميل الحقائق المشوّهة ، فأعذب الشعر اكذبه كما يُقال ، ويأتي من باب الفخر في الأحساب أو الطعن في الأنساب بما لا

يتوافق مع الواقع ولا الحقيقة ـ الا نادراً ـ وحتى النادر منه لا يخلو من مبالغة وتحسين للكلام وتضخيم للرجز ..

لنراجع القرآن الكريم وحديث نبي وائمة الإسلام صلوات الله عليهم ولنقارن بينها وبين ما نُقل عنهم ، يكفي أن يصفهم القرآن بالجاهلية ..! بل نفس التأريخ المنقول نجده مملوءاً بالأحداث والأخبار السيئة والتي تنسف وتناقض كل أحاديث التلميع تلك ..

كان الضعيف عندهم مُهاناً والذي ليس له حسب شريف مُحتقراً ، الغزو والسرقة كانت عندهم من معالم الشجاعة ، والتبذير من الكرم ..

انتقد القرآن الكريم تبرج نساءهم { **وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الأُولى** }[93] ، وأبطل حكمهم { **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** }[94] ، ولم يرض بحميّتهم { **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ** }[95] ..

ولقد وصفت السيدة الزهراء عيها السلام حال العرب عندما خاطبت القوم بعد وفاة أبيها ص واله : { **وكنتم على شفا حفرة من النار ، مذقة الشارب ، ونهزة الطامع ، وقبسة العجلان ، وموطئ الأقدام ، تشربون الطرق** (الماء الذي خاضته الأبل وبالت فيه) ، **وتقتاتون القِدَّ** (الجلد غير المدبوغ) **والورق ، أذلّةً خاسئين ، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم ، فأنقذكم الله تعالى بمحمد (صلى الله عليه وآله)** } .

ويصفهم أمير المؤمنين ع في إحدى خطبه : **إنَّ الله بَعَث مُحمَّداً (صلى الله عليه وآله) نَذيراً لِلعالَمِين وأمِيْناً عَلى التَّنْزِيْل وَانتُم مَعشَر العَرَب عَلى شَرِّ دين وَفي شَرِّ دار مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجارَة خَشِن**

93 الأحزاب ٣٣

94 المائدة ٥٠

95 الفتح ٢٦

وحَيّات صُمٍّ تَشربُونَ الكَدِرَ وَتَأَكُلُونَ الجَشِبَ وَتَسْفِكُونَ دِماءكُمْ وتقطعُونَ أَرْحامَكُمْ الأصنامُ فيكُم مَنْصوبَة وَالآثامُ بِكُمْ مَعْصُوبَة ..

لا تأريخ لهم كأمّة ، أما كأفراد او كحالات نادرة فلا تخلو اكيداً من مواقف وأحداث وشخصيات هي محط فخر واعتزاز ..

فعلى الدارس لسيرة النبي الأكرم صلوات الله وسلامه عليه وما أتى به من أخلاق فردية واجتماعية ، وأحكام تنظّم حركة المجتمع وطبيعة العلاقة بين أفراده ومع المجتمعات الأخرى .. أن يتعرف على البيئة التي ظهر بها الإسلام والمجتمع الذي بُعث إليه نبي الإسلام ، وعندها سيعرف مدى المسؤولية التي تحملها صلوات الله عليه والجهود الكبيرة التي بذلها ومن معه ، وكذلك سيعرف مقدار الإنقلاب الذي أحدثته هذه الدعوة المباركة .

الرسول محمد (ص) مات أم قتل ..؟

(1)

من المسائل الإسلامية ذات الطابع التأريخي والعقائدي الذي طالما أخذ مساحة في المنطقة الفاصلة بين مدرستين إسلاميتين كبيرتين هما مدرسة أهل البيت ع ومن تبعهم وشايعهم ومدرسة (بعض الصحابة) ومن استن بهم هي وفاة الرسول محمد صلوات الله عليه وهل هي حالة موت (وفاة بدون سبب خارجي) أم جريمة قتل (بسبب خارجي) .. ؟

والخلاف لا يقتصر على الرأي من حيث المبدأ ولم ينحصر بالدائرة النظرية فقط وإنما يرقى الى مستوى إتهام طرف لطرف ..!! وأستطيع القول أن أحد هاتين المدرستين هي المدعي والأخرى هي المدعى على أفراد منها بأنهم قاموا بتلك الجناية ..

ومدرسة أهل البيت (ع) التي هي أقرب الى القول بأن الرسول (ص) قد قتل تستند في دعواها الى عدة مستندات ولكن رغم رصانة تلك المستندات غير أنها لا تعدو كونها قرائناً وأمارات لا تصل الى مستوى (إقرار الجاني) أو (البينة) وهما الدليلان اللذان عند تحقق أحدهما أو كليهما يثبتان جناية القاتل في الفقه الإسلامي وفي حالة إنعدامهما معا يعني عدم الإثبات وإن كان هو الجاني فعلا ..

ولهذا سنحاول ضمن هذه السلسلة استعراض أهم تلك المستندات التي تثبت الجناية ولا تثبت الجاني ، وتتحقق من عملية القتل وجهته ولا تحدد القاتل بشخصه فقهاً وإن شخّصته فليس وفق البروتوكلات القضائية النافذة في الإسلام ..

ومن هذه المستندات والأمارات :

** **قرآنية** : قال تعالى (**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**) .. وقوله تعالى (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**) فالآيات المباركة قد أثبتت أموراً /

الأمر الأول : تعتبر هذه الآيات الكريمة دليلاً علمياً وشرعياً ناقضاً لمن يقول أن الأنبياء ومنهم نبينا صلى الله عليه وآله لايقع عليهم القتل .. فكما أن القرآن الكريم أثبت أن النبي كباقي البشر يموت (**إنك ميت وإنهم ميتون**) كذلك هذه الآيات تثبت أن الرسول والانبياء يمكن أن يُقتلوا ..

الأمر الثاني : إحتمالية قتل الرسول ص وآله فعلاً ، وقد ترتقي تفسيراً الى مستوى التحذير من محاولات ودسائس كانت تحاك لقتله صلوات الله عليه وإن كل الإشارات والدلائل تشير الى ذلك .. وما يثبت هذا الإحتمال التفسيري هو التهديد الذي فيه تخويف معجل للقاتل ، فمن عزم على القتل لا ينفع معه التهديد المؤجل والبعيد المدى وإنما يحتاج الى تخويف آني وقابل للحصول سريعا ، كون المتأهب للجناية قد عالج بفكره العواقب المتأخرة ثم خطط لملافاة العواقب المعجلة ، فإذا باشر بالتنفيذ لا ينفع معه الا تهديد نفس الخطة من خلال الفضح أو الضرر السريع .. الخ

(2)

إشكال وجواب : مما يثار على الآية (**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**) .. أنها نزلت في معركة أحد بعد أن ظن المسلمون بإن الرسول ص وآله قد قُتل ، وعليه فإنها لا تصلح دليلاً على أن الرسول ص وآله قد قُتل كما ذكرنا ذلك في المنشور السابق ..؟

والجواب :

1. مما استعملنا فيه الآية في أعلاه هو الإستشهاد بها لغرض اثبات أن قتل الرسول ص وآله ممكن وليس عليه (ص وآله) حصانة الهية

من القتل بحيث يكون مستحيلا كما قد يظن البعض ويستشهد بهذا الظن الخاطىء ان تهمة قتل الرسول باطلة من أصل ..

2. سبب النزول لا يخصص الآية بما نزلت فيه فقط كما هو ثابت في محله ، ولهذا استشهد بها الرسول (ص وآله) في حجّة الوداع حين قال ص وآله (**معاشر الناس انذركم اني رسول الله اليكم قد خلت من قبلي الرسل افإن مت أو قتلت انقلبتم على اعقابكم ..**) .. فالآية تبقى عاملة (محذّرة) مادام الرسول على قيد الحياة فيما يخص جزئية القتل او الموت وليس الانقلاب ..

3. أُستعملت هذه الاية كدليل لإثبات حصول جريمة قتل الرسول من قبل مدرسة أهل البيت ع وهي تمثل الطرف المدعي كما قلنا ، ففي تفسير الصافي عن الإمام الصادق ع : **أتدرون مات النبي أو قتل .. ؟ ان الله يقول (أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم)** ثم قال انهما **سقتاه قبل الموت** .. (نتعرض للرواية لاحقا) ..

4. قلنا في منشورنا السابق اننا سنستعرض أمارات قتل الرسول ص وآله المستعملة من قبل الطرف المدعي ، وهذه واحدة منها وأنها بمفردها لا تثبت كل تفاصيل القضية كما لو تعاضدت مع أمارات اخرى .. وللاخر بلا شك حق النقض والدفاع ..

(3)

المستند الثاني

** **روائي** : هنالك عدة روايات وردت عن النبي الأكرم صلوات الله عليه وأهل بيته المعصومين تتضمن تأسيس اعتقاد قاطع وراسخ عند اتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام بأن النبي وخلفاءه الشرعيين المعصومين عليهم السلام لا يموتون الا قتلاً بغير حق وفي سبيل الله وبالتالي فهم شهداء .. وهي بمثابة الكرامة لهم كون الشهادة أشرف وأعلى درجات وحالات الموت ، ولهذا افتخرت زينب عليها السلام امام الطاغية بقولها (**القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة**) ، ومن هذه الروايات :

* عن النبي الاكرم صلوات الله عليه : « **ما من نبيّ ، ولا وصيّ إلا شهيد** » .

* وكذلك قول الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) حين صعد المنبر بعد استشهاد والده أميرالمؤمنين (عليه السلام) ، فقال في جملة خطبته الشريفة : « **ولقد حدثني حبيبي جدي رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) أن الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من أهل بيته وصفوته ، ما منّا إلاّ مقتول أو مسموم** » .

* وعن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) هذا الحديث الشريف في شهادة مولانا الحسن المجتبى (عليه السلام) : **قال الحسن بن عليّ لأهل بيته : « إني أموت بالسم كما مات رسول الله (صلى الله عليه وآله)** ..

ولهذا قال علماء الطائفة بهذا الإعتقاد ومنهم الشيخ الصدوق رحمه الله : ((واعتقادنا أن ذلك جرى عليهم على الحقيقة والصحة (أي تعقيباً على قول الأئمة سلام الله عليهم أنه ما منا إلا مسموم أو مقتول) ، لا على الحسبان والحيلولة ، ولا على الشك والشبهة فمن زعم أنهم شُبِّهوا أو واحد منهم فليس مِن ديننا على شيء ، ونحن منه بُرآء . وقد أخبر النبي والأئمة (عليهم السلام) أنهم مقتولون ، ومن قال: إنهم لم يُقتلوا ، فقد كذبهم ، ومن كذبهم فقد كذب الله ، ومن كذب الله فقد كفر به وخرج به عن الإسلام ، « ومَن يبتغِ غيرَ الإسلام ديناً فلن يُقبَلَ منه، وهو في الآخرةِ مِنَ الخَاسرين »)) .

(٤)

المستند الثالث : أمارات متفرقه (الجزء الأول)

سنذكر بعض الأمارات والقرائن المهمة والتي يضعها الطرف المدعي لمقتل الرسول ص في ملف الدعوى لعضد ودعم دعواه وهي :

1. محاولات اغتيال سابقه للرسول ص وآله : فالذي يطلّع على كتب السيرة سيجد أن احتمال اغتياله (ص وآله) وارد جدا ، فأكثر من عشر محاولات تعرض لها صلوات الله عليه ، ففي معركة تبوك كانت هنالك محاولة من قبل صحابة كبار نعرض عن ذكرهم .. وكذا ينقل عن زوج الرسول عائشه أنه (ص وآله) قد أكل من شاه مسمومه في خيبر ولا زال يشعر ألمها حتى وفاته ، وتفصيل هذه

المحاولة : (أهدت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم زعيم خيبر شاة مشوية مسمومة وأكثرت السم في الذراع لأنه أحب شيء إلى رسول الله وقدمته وتناول منها الذراع فلاك منها مضغة ومعه بشر بن البراء بن معرور رضي الله عنه فأكل منها وأما رسول الله فلفظها ثم قال :أن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم ثم دعا بها فاعترفت !

وكان رسول الله صلى الله علية وسلم قد قال في مرضه الذي توفي منه لام بشر يا أم بشرأن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أبنك بشر بخيبر) . ولقد ذكرت عدة محاولات اخرى ذكرتها كتب السير والتاريخ الاسلامي ..

2. مخالفة أمر الرسول في ايام مرضه عندما منع أن يضع اي شراب او طعام في فمه بحجة الدواء ، ورغم ذلك قام البعض بذلك ومنهم زوجته عائشه ومن كان معها الا عمه العباس فإنه لم يخالف أمره ، ولما أفاق الرسول ص وآله وعلم أنهم وضعوا في فمه الدواء المزعوم طردهم إلا العبّاس .. فورد : (في كتاب الطبقات ج 235/2 : فأُغمِيَ عليه صلى الله عليه وآله حين أفاق والنساء يلددنه (يطعمنه) , وهو صائم ، وقالت عائشة : لددنا رسول الله في مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلدوني، فقلنا : كراهية المريض للدواء . فقال : (لايبقى أحد في البيت إلا لد ، وأنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم) .

ولهذا تم وضع اشارة شك وشبهة ضد المادة التي وضعت في فم الرسول ص وآله ومخالفة أمره وطرده لهم من قبلهِ عندما علم مخالفتهم له ..!!

3. تصريح بعض أعلام الطرف الآخر بوجود شبهة أن الرسول (ص وآله) قد دس له السم ، جاء في السيرة النبوية لآبن كثير عن الأعمش عن عبد الله بن نمرة عن اب الاحوص عن عبد الله بن

مسعود إذ قال : (لئن أحلف تسعا أن رسول الله قتل قتلا أحب إلي من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل، وذلك لأن الله اتخذه نبيا واتخذه شهيدا) .. وقال الشعبي : (والله لقد سم رسول الله) ..

(5)

المستند الثالث (الجزء الثاني) : أمارات متفرقة

4. الحالة الصحية للرسول : حيث تشير الاخبار الى أن الرسول (ص وآله) مات عن مرض مفاجىء وأودى به سريعاً (بدأ به الأربعاء وتوفي الاثنين صلوات الله عليه) ، ولم تشخص نوعه وإنما أعراضه وهي الصداع الشديد وارتفاع عالي في درجة الحرارة بحيث تنقل الاخبار أنه لم يعهد حمّى مثلها عند الناس .. وهذه أعراض تسمم ولهذا تم التشبث من قبل البعض بأن الرسول قد تسمم من شاة خيبر (كما ذكرنا) ، في حين أن خيبر كانت قبل الوفاة بثلاث سنين ..

5. الإنقلاب السريع والمخطط : فالذي يقرأ تأريخ الوفاة فإنه سيجد أن مقتل الرسول ص وآله حدثاً سياسياً أكثر منه مصيبة وفاجعة دينية .. حيث بدأت المشاورات والتجاذبات والمناكفات بين بعض الانصار وبعض المهاجرين حول طريقة واسلوب تقاسم وتبادل السلطة والرسول صلوات الله عليه لم يدفن بعد ، عكفوا على إيجاد البديل وكأن الدين الذي اكتمل بشهادة كلام الله (ومن اصدق من الله قيلا) قد فاتته خلافة النبي ..!! فهؤلاء المنتفعون والمتصيدون في الماء

العكر يوجه اليهم الطرف المدعي التهمة ويعتبرهم خطوطا متصلة بالجريمة والمجرم ..

هذه المستندات وهذه القرائن تثبت أصل الدعوى والجريمة وتشير بإصبع الإتهام الى البعض .. ولهذا نجد روايات صريحة وواضحة رويت عن ائمة أهل البيت ع حول جريمة قتل الرسول ص وآله وهم خلفاء الرسول الشرعيون وأولياء دمه ..

تأملات ذات صلة :

التأمل ألأول : نلاحظ من خلال التأريخ أن هنالك إفراط وتفريط فيما يخص وفاة النبي الاكرم (ص) ، أما الإفراط هو عدم توقع او لنقل استبعاد فكرة موت الرسول ص وآله من قبل بعض المسلمين ، ولهذا جاءت بعض الآيات الموضحة والمصححة لهذا الاعتقاد الخاطىء وأنك يا رسول الله ميت كما هم ميتون ، وأما التفريط هو اعتقاد البعض أن موت الرسول عبارة عن فناء كامل له شمل فناء وموت توصياته وإرشاداته وكأنما لم يكن نبي من قبل ، وعبّر القرآن عن ذلك (بالإنقلاب على الأعقاب) ..! مما يوحي من هاتين الفئتين المتقابلتين أن الإسلام لم يتلقه البعض كما ينبغي أن يتلقّاه وأن مسيرة تلقين الإسلام رغم اكتماله كتشريع نازل لم يكتمل كتشريع واصل للناس إذا جاز التعبير ؛ ولهذا احتاج الإسلام الى من يكمل مسيرة التلقين والتوصيل هذه فجاءت فكرة وعقيدة الإمامة كإجراء ضروري يتوقف عليه وجود وبقاء الدين كما توقف إيجاده وانبعاثه على النبوة والرسالة ، فكانت الإمامة تمثل الخلافة الحقّة المتمّمة لإرسال الرسالة المحمدية المكرمة .. فتأمل

التأمل الثاني : لنا في رسول الله أسوة حسنه في حياته ومماته ، حيث أعطى الرسول الأكرم صلوات الله عليه درساً تربوياً محكماً لمن يتولى مسؤولية إدارة وقيادة شؤون جماعة كبيرة أو صغيرة وهو : ضرورة تهيئة وإيجاد المعادل الموضوعي الذي يسد غياب القائد ويعوض عن نقص وجوده ، وأما المعادل الموضوعي والبديل المناسب الذي هيئهُ صلوات الله عليه لسد ثغرة فقده في الإسلام هو الإلتزام والتمسك بكتاب الله وعترة نبيه صلوات الله عليه (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا بعدي أبدا ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض) وهذا من أعظم السنن الحسنة التي خلفها الرسول (ص) للمسلمين والتي لا ينبغي لهم ترك التأسي والإقتداء بها . ولهذا ضل وهوى كل من ترك طرفي المعادل الموضوعي من المسلمين أو ترك أحدهما وتشعبت به المذاهب وقاده التيه الذي وقع فيه الى مواضع مأساوية وعلى مستوى النظرية والتطبيق الإسلاميين رغم المحاولات الحثيثة والتضحيات العظيمة التي قدمها المهتدون المهديون الى الحق والمتمسكون بما تركه النبي الاكرم صلوات الله عليه في سبيل تعديل الانحراف وهدي الضال ولكن كثيرا ما كانت النتائج أكثر ركوسا في ضلالات أضل وأظلم للأسف الشديد .. وعليه فصح القول أن فاجعة وفاة النبي (ص) تختلف من حيث الآثار والتبعات بإختلاف مقدار ونوع التمسك بما خلفه النبي الاكرم من تعويض لهذا الفقد .. ففاجعته من هذه الجهة ينبغي أن تكون أفجع وأكبر عند من خالف وصية الرسول ولم يتبع خليفتيه (الكتاب والعترة) معا ...

التأمل الثالث : يحق للإنسانية أن تفتخر بمناسبة وفاة خاتم الأنبياء وإنقطاع وحي السماء اللذان لم ينقطعا ابداً عن هذه الأرض منذ أبينا آدم عليه السلام ..! ولعلك تستنكر هذا الإفتخار ولكن ستجده مستحقاً إذا نظرنا الى الوفاة من الجهة التالية : إنقطاع سلسلة الأنبياء ووحي

السماء يعني وصول البشرية الى مرحلة قادرة على الإستغناء عن النبي الظاهري والخارجي والإكتفاء بنبي الباطن وهو العقل ، بمعنى .. شريعة خاتم الرسل قد أنجزت هذا المستوى الراقي للبشرية وفتحت لها الباب بالتعاطي معها بأفضل صورة وبغياب الرسول غيابا نهائيا ..فوفاة آخر نبي يعتبر تأريخا وإعلانا لهذه النتيجة وهذا المستوى الذي بذلت السماء ما بذلت من أجل الوصول اليه وتحقق بفضل الله تعالى .. ولكن بنفس الوقت على الإنسانية أن تحذر وتتخوف من هكذا أمر كونه سلاح ذي حدين فإنه إن لم يستغل ويستثمر كما ينبغي فستكون الضريبة غالية لأن نبي الداخل سوف يكون حجةً وخصماً شرساً على صاحبه ولعل أولئك الذين خالفوا الأنبياء لهم بعض من الحجج المعينة التي يحسبونها نافعة لهم ولكن من كان نبيه فيه فأين المهرب ..؟! والإنسان على نفسه بصيرة ..

التأمل الرابع : إن المتأمّل لعمر الإنسان فسيرى مقداره من الأيام والسنين رهين إحدى الحكمتين الآتيتين :

الأولى : يكون رهين تكليفه الخاص بنفسه بحيث يكون مقدار عمره موافقا ومتناسبا لفترة الإختبار اللازمة من قبل السماء (**لنبلوكم أيكم أحسن عملا**) وبشكل لا يكون عنده للمكلف حجّة على الله تعالى في عدم إستيعاب عمره لأداء إختباره الخاص بإصلاح نفسه إتجاه ربه وتحقيق النجاح المطلوب .

الثاني : أن يكون مكلفاً بمهمة أخرى بالإضافة الى الأولى خارج نفسه ومتعلقة بحياة الآخرين وبشكل يكون مقدار عمره موافقاً للفترة اللازمة لأداء هذه المهمة غير المتعلقة بإصلاح نفسه وأن عمره مرهون بأداء ما كلف به .

ونحن حين نناقش وفاة الرسول الأكرم ترانا وبشكل لا إرادي نربط حياته بالحكمة الثانية وأن حياته كانت مرهونة بالرسالة الإسلامية بحيث عندما تمت وكملت انتهت حياته معها .وهذا ما يشير الى سمو شخصية النبي ومقدار الوقت المتناهي في الصغر في إجتياز إمتحان نفسه إتجاه طاعة الله جل وعلا .. وهذا ما يمكننا أيضا تعليل طول حياة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف كون مهمته الإصلاحية لم تنته بعد وحياته متعلقة بها طولا وقصرا ...فتأمل

موت الرسول : أكبر فاجعة في الإسلام

كل الفجائع تهون أمام فاجعة موت الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، بل كل ما حصل بعده في الاسلام من فجائع ما هي إلّا أثراً من آثار وفاته وانعكاساً من انعكاساتها ، ولقد حذّر القرآن الكريم من صدى هذه الفاجعة على المسلمين ، واستشرف نتائجها السلبية وعواقبها الوخيمة .. قال تعالى (**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**)[96] .

وجاءت الإشارات النبوية ايضاً في ذلك ، عن النبي صلوات الله وسلامه عليه : (**إذا أصاب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها ستهون عليه**)[97] . وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) انّه قال في مرض موته : (**أيّها النّاس ايّما عبد من امّتي أصيب بمصيبة من**

96 ال عمران ١٤٤

97 وسائل الشيعة ، ٣ / ٢٦٨

بعدي فليتعزّ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بعدي فإن أحدا من أمّتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي) .

وفي الكافي عن أبي جعفر عليه السّلام قال : **(إن أصبت بمصيبة في نفسك أو في مالك أو في ولدك فاذكر مصابك برسول اللَّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فإن الخلائق لم يصابوا بمثله قطّ)**[98] .

فكان وجود النبي مانعاً من ظهور العصبيات الجاهلية ، وفاضحاً للنفاق ، وكاشفاً عمّا في سرائر القوم ، فتنزل في هذا آية ، ويخرج بذاك حديث .. غير بركات ورحمات وجوده ، قال تعالى **(وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)** [99].

ولهذا نجد أمير المؤمنين عليه السلام ينعى الرسول وهو يلي غسله وتجهيزه : **{ بأبي أنت وأمي ، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء وأخبار السماء ، خصصت حتى صرت مسلياً عمن سواك ، وعممت حتى صار الناس فيك سواء ، ولولا أنك أمرت بالصبر ، ونهيت عن الجزع ، لأنفدنا عليك ماء الشؤون ولكان الداء مماطلا ، والكمد محالفا ، وقلا لك ، ولكنه مالا يملك رده ، ولا يستطاع دفعه ، بأبي أنت وأمي اذكرنا عند ربك ، واجعلنا من بالك }**[100] .

ولقد هوّنت مصيبة فقد النبي على أمير المؤمنين فجائع كبرى ومصائب عظمى تحملها بعد رحيل رسول الله ، فكان انقلاب القوم على الاعقاب واغتصابهم حقه في خلافة النبي وهجومهم على داره وغصبهم لحق الزهراء وأذيتهم لها .. ثم رحيلها عنه بعد رحيل أبيها ببضع أشهر ، كل ذلك كان عنده امام موت الرسول هيّنا ، ولهذا

---

[98] الكافي ٢٢٠

[99] الأنفال ٣٣

[100] نهج البلاغة ، ٢ / ٢٢٨

نجده قد صرّح بعظم الأسى الذي لاقاه وكيف واسى وسلّى نفسه وهو يدفن سيدة النساء فاطمة صلّى الله عليها :

{ السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَنِّي ، وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ, قَلَّ يَا رَسُولَ اللهِ ، عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي ، إلاَّ أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ ، مَوْضِعَ تَعَزّ فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ . إنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ ، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ . وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ [بتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا ، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ ، هذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ . وَالْسَّلاَمُ عَلَيْكُمَا سَلاَمَ مُوَدِّع ، لاَ قَال وَلاَ سَئم فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلاَ عَنْ مَلاَلَة ، وَإِنْ أُقِمْ فَلاَ عَنْ سُوءِ ظَنّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ }[101].

ولكن تبقى بركات النبي ورحماته تغمرنا حيّاً وميّتا ، ففي الخبر : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : **مقامي بين أظهركم خير لكم فإن الله يقول : [وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ] ، ومفارقتي إياكم خير لكم** . فقالوا : يا رسول الله مقامك بين أظهرنا خير لنا فكيف يكون مفارقتك خير لنا ؟ فقال : **أما مفارقتي لكم خير لكم فإن أعمالكم تعرض علي كل خميس واثنين فما كان من حسنة حمدت الله عليها ، وما كان من سيئة أستغفر الله لكم)**[102] .

---

101 نعج البلاغة ٢ / ١٨٢

102 الميزان ج٩ ص ٨٦

لماذا ننعى فقد النبي بعد مرور ١٤٠٠ عاما ..؟!

الرسول بنص القرآن الكريم بشر كما هم سائر البشر ، والفارق هو الوحي (**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ**)[103] ، وبالتالي فهو صلى الله عليه وآله يموت ضمن معدل العمر الطبيعي للبشر (**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**)[104] .. ونحن نعيش بعد وفاته بما يقرب ال (١٤٠٠) سنة ..!! فهل كان من المفترض ان يبقى كل هذه الفترة حتى نتأسى على رحيله وفقده ..!!

والسؤال والاستغراب الذي يتضمنه بحد ذاته مقبول ومعقول ، ويحتاج في جوابه الى وضع عدد من المستويات تتكفل اعطاء فهم دقيق وواعي لمسألة رحيل الرسول صلوات الله عليه ، كمحاولة لرفع الاستغراب وتصوّر مفهومية جيدة لفاجعة الرحيل ، علماً أننا لا نتنازل عن الجواب العام المبني على التوجيه الالهي الخاص بتعظيم شعائر الله ، ومن أوضح شعائر الله (معالم دينه) هو الرسول الأكرم صلوات الله عليه ، أو احياء أمر أهل بيت النبي ، فإحياء امر النبي هنا من باب أولى .. وكذلك المبني على السيرة العقلائية لكل البشر في الاحتفاء بعظمائهم وقادتهم واستلهام سيرتهم وأخذ العِظة والعِبرة منهم وتشجيع الآخرين على اتباع آثارهم وإعادة مآثرهم ، بل للأمم حق الافتخار بأبطالها وأشخاصها المميزين .. الخ

---

103 الكهف ١١٠

104 الزمر ٣٠

ومما نضعه من أجوبة نحاول من خلالها أن تفتح لنا فهماً آخراً للمناسبة هي :

١. أن رحيل الرسول بالنسبة لنا ولكل من عاش بعد رحيله هو قرار حكم نهائي وباتّ في عدم امكانية رؤيته ومعاصرته مرةً أخرى الى حد الاستحالة ، فمن عاش قبل رحيله بل قبل نبوته حتى بفترات طويلة كان أمل وجود الرسول معه ممكناً ومرتقبا ، أما بعد موته فهذا ممنوع .. فاستحق الحزن .

٢. أن نفهم الرحيل بأنه حالة متجددة ، بمعنى أن شخصية الرسول - وليس شخصه - يستطيع المسلم أن يعيش معها وجداناً ، يعيشها في القرآن الذي نزل عليه والشريعة التي جاء بها والسيرة التي وردتنا عنه وأخلاقه العظيمة ورحمته التي شملت العالمين ، فورد عنه صلوات الله وسلامه عليه (**من قرأ القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه**) .. او نعيش معه في أهل بيته صلوات الله عليه ، فعلي عليه السلام نفس الرسول كما نصت عليه آية المباهلة ، والزهراء بضعته كما في الخبر ، والحسن والحسين ريحانتاه .. فمن عاش الحياة مع هذه النسخ المحمدية اذا جاز التعبير ، فهو أما قد فقدها ايضا ، فيعيش حالة الفقد كل يوم وتهيج عنده في ذكرى رحيله ..! او لا زال يعيشها الا أن مجرد تصورها تهيج عنده الأحزان خوفاً من الفقد الفعلي ..

٣. أن نفهم الرحيل عبارة عن انقطاع فعلي لامتيازات الهية وهبها تعالى للبشر لالاف السنين ، مثل مسألة انقطاع الوحي ، وهذا ما تحسّر عليه أمير المؤمنين وهو في تغسيل وتحضير جنازة الرسول ، حيث يقول (**بأبي أنت وأمي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء وأخبار السماء**) ، فهذه الظاهرة عمرها لم يخضع لمعدل عمر الإنسان الواحد ، وانما هي عبارة عن ظاهرة موجودة مع وجود الانسان على هذه الأرض وانقطعت بموت آخر

الرسل ، فيحق للبشرية من بعدها أن تنعاها وتحزن عليها الى آخر وجودها في هذه الدنيا ..

٤. أن نفهم الرحيل المركّب والمضاعَف للرسول صلوات الله عليه ، فهو مات ، ومات معه التخطيط الالهي في تنصيب خلفاءه واوصياءه الذين هم أفضل من يأخذ دوره في الأمة شخصاً وقيادةً .. ويبقى هذا الحزن ما دام هذا الفقد المركب موجودا ، بل يحق لنا أن نحزن بمجرد تأخيره لهذه الفترة الطويلة ، وهذا ما نشكو منه في الدعاء (**اَللّـهُمَّ اِنّا نَشْكُو اِلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنا صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَغَيْبَةَ وَلِيِّنا ، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنا ، وَقِلَّةَ عَدَدِنا ، وَشِدَّةَ الْفِتَنِ بِنا ، وَتَظاهُرَ الزَّمانِ عَلَيْنا ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِهِ ، وَاَعِنّا عَلى ذلِكَ بِفَتْح مِنْكَ تُعَجِّلُهُ ، وَبِضُرٍّ تَكْشِفُهُ ، وَنَصْر تُعِزُّهُ وَسُلْطانِ حَقٍّ تُظْهِرُهُ ، برحمتك يا ارحم الراحمين**) .

٥. أن نفهم مصيبة فقد الرسول بأنها وراء كل مصيبة جرت ولا زالت تجري في الإسلام ولم ننفك نحن من مظلوميتها واذيتها .. ماكان متعلقاً بأمور الدين أو الزمن ..

والطرق الى حزن فقد النبي بعدد أنفاس الخلائق ، إلا أننا نريد الاستفادة من هذه الأفكار التي تسعى الى وضع معان أخرى لموت النبي في توظيفها التوظيف المناسب ، وذلك من خلال التعامل الايجابي اتجاهها .. فنحن وإن بررنا الحزن على رسول الله تبريراً واعياً وعميقاً الا أننا مطالبون بمواساة واعية وعميقة لهذا الحزن وعدم الاكتفاء بالحزن التقليدي ..

فإيجاد المعادل الموضوعي لفقد النبي ضروري جداً ، فعندما نهرع الى القرآن الكريم وعترته الطاهرين – وهما الثقلان اللذان تركهما لنا من بعده – ونلتزمهما ونجعلهما أمامنا في كل شيء .. نكون قد ملأنا الفراغ خير إملاء وتداركنا خطر الانقلاب الذي حذرت

منه آية (افإن مات أو قُتل ..) ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : { **لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله بات آل محمد عليهم السلام بأطول ليلة حتى ظنوا أن لا سماء تظلهم ولا أرض تقلهم ، لان رسول الله صلى الله عليه وآله وتر الأقربين والأبعدين في الله ، فبينا هم كذلك إذ أتاهم آت لا يرونه ويسمعون كلامه ، فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، إن في الله عزاء من كل للمصيبة ونجاة من كل هلكة ودركا لما فات " كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور " ، إن الله اختاركم وفضلكم وطهركم وجعلكم أهل بيت نبيه واستودعكم علمه وأورثكم كتابه وجعلكم تابوت علمه وعصا عزه ، وضرب لكم مثلاً من نوره وعصمكم من الزلل وآمنكم من الفتن ، فتعزوا بعزاء الله ، فإن الله لم ينزع منكم رحمته ولن يزيل عنكم نعمته ، فأنتم أهل الله عز وجل الذين بهم تمت النعمة واجتمعت الفرقة وائتلفت الكلمة وأنتم أولياؤه ، فمن تولاكم فاز ومن ظلم حقكم زهق ، مودتكم من الله واجبة في كتابه على عباده المؤمنين ، ثم الله على نصركم إذا يشاء قدير ، فاصبروا لعواقب الأمور، فإنها إلى الله تصير قد قبلكم الله من نبيه وديعة واستودعكم أولياءه المؤمنين في الأرض فمن أدى أمانته أتاه الله صدقه ، فأنتم الأمانة المستودعة ولكم المودة الواجبة والطاعة المفروضة وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أكمل لكم الدين وبين لكم سبيل المخرج ، فلم يترك لجاهل حجة ، فمن جهل أو تجاهل أو أنكر أو نسي أو تناسى فعلى الله حسابه والله من وراء حوائجكم ، وأستودعكم الله والسلام عليكم]**[105] .

---

105 الكافي الشريف ج١ ص ٤٤٦

من احداث سنة ١١ هـ
تأريخ الطبري

هذه بعض المقاطع التاريخية المُختارة من تأريخ الطبري فيما يخص احداث سنة ١١ للهجرة والخاصة بأحوال الرسول ص وآله قبل وفاته .. وضعنا نحن عنواناً لكل مقطع :

(١) المـوت بالنسـبة للرسـول هو لقـاء الله :

في الخبر : حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة وعلي بن مجاهد ، عن محمد ابن إسحاق ، عن عبد الله بن عمر بن علي، عن عبيد ين جبير، مولي الحكم ابن أبي العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ، قال : بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل ، فقال لي : **يا أبا مويهبة ، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي ،** فانطلقت معه ، فلما وقف بين

أظهرهم ، قال : **السلام عليكم أهل المقابر ، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ! أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى** . ثم أقبل علي فقال : **يا أبا مويهبة ، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، خيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة ، فاخترت لقاء ربي والجنة** . قال : قلت : يأبي أنت وأمي ! فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة . فقال : **لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربي والجنة** ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف فبدئ رسول الله ﷺ بوجعه الذي قبض فيه .

(٢) من غيـرة عائشـة :

في الخبر : حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق . وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا علي بن مجاهد ، قال : حدثنا ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت : رجع رسول الله ﷺ من البقيع ، فوجدني وأنا أجد صداعًا في رأسي ، وأنا أقول : وارأساه ! ، قال : **بل أنا والله يا عائشة وارأساه !** ثم قال : **ما ضرك لو مت قبلي فقمت عليك وكفنتك ، وصليت عليك ، ودفنتك !** فقلت : والله لكأني بك لو فعلت ذلك رجعت إلى بيتي فأعرست ببعض نسائك ، قالت : فتبسم رسول الله ﷺ، وتتام به وجعه ؛ وهو يدور على نسائه حتى استعز به وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي ، فأذن له .

(٣) عائشـة لا تستطيـع ذكـر علـي ع بـخير :

سند الخبر السابق : خرج رسول الله ﷺ بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر تخط قدماه الأرض ، عاصبًا رأسه حتى دخل بيتي .

قال عبيد الله : فحدثت هذا الحديث عنها عبد الله بن عباس ، فقال : هل تدري من الرجل ؟ قلت : لا ، قال : علي بن أبي طالب . ولكنها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع .

(٤) رزيـة يـوم الخميـس والـوصيّة المنسيّة ! :

حدثنا أحمد بن حماد الدولابي ، قال : حدثنا سفيان ، عن سليمان ابن أبي مسلم ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ، قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ! قال : اشتد برسول الله ﷺ وجعه ، فقال : **ائتوني أكتب كتابًا لا تضلوا بعدي أبدًا** . فتنازعوا - ولا ينبغي عند نبي أن يتنازع – فقالوا : ما شأنه ؟ أهجر ! استفهموه ؛ فذهبوا يعيدون عليه ، فقال : **دعوني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه** ؛ وأوصي بثلاث ؛ قال : **أخرجوا المشركين من جزيرة العرب** ، **وأجيزوا الوفد بنحو مما كنت أجيزهم** ، وسكت عن الثالثة عمدًا - أو قال : فنسيتها .

(٥) مـا الدواء الـذي أُعطي للرسـول كـرها .. ؟! :

في الخبر : حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثنا موسى بن أبي عائشة ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة ، عن عائشة ، قالت : لددنا رسول الله ﷺ في مرضه ، فقال : **لا تلدوني !** فقلنا : كراهية المريض الدواء . فلما أفاق قال : لا يبقى منكم أحد إلا لد ، غير العباس فإنه لم يشهدكم .

(٦) بـدون عنـوان ..!! :

في الخبر : حدثنا أبو كيب ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، قال : حدثنا يونس بن عمرو، عن أبيه ، عن الأرقم بن شرحبيل ، قال : سألت ابن عباس : أوصى رسول الله ﷺ ؟ قال : لا ، قلت : فكيف كان ذلك ؟ قال : قال رسول الله : ابعثوا إلى علي فادعوه ، فقالت عائشة : لو بعثت إلى أبي بكر**!** وقالت حفصة : لو بعثت إلى عمر**!** فاجتمعوا عنده جميعًا ، فقال رسول الله ﷺ : انصرفوا ، فإن تك لي حاجة أبعث إليكم ، فانصرفوا .

من رجال الدعوة الإسلامية

قامت ونهضت الدعوة الإسلامية بجهود جبارة من قبل رسول الله وأذى كبير تعرض له صلوات الله وسلامه عليه ، ومما أعان الرسول على تحمّل تلك المصاعب وشاركه في مواجهة تلك المخاطر هو بعض الأسماء اللامعة في سماء الإسلام والتي وقفت مع النبي الأكرم مواقفاً سجلّت لهم الشرف والمجد في الدنيا والفوز والفلاح في الآخرة .. وعلى رأس تلك القائمة هم أعمام النبي (ابو طالب والحمزة) وزوجته (خديجة) وابناء عمه (الإمام علي) و (جعفر الطيار) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ..

فلا يمكن ان نتعرض الى سيرة الرسول بدون أن يكون لهؤلاء المسلمين والمجاهدين الاوائل ذكر وحصة من كلامنا وكتاباتنا ولو على نحو الإشارة الى بعض ما يرتبط بهم ، وهما موضوعتان قيلتا في مناسبات ذكرى وفاتهما ، نضعها هنا :

■ كافل الرسول وناصره وحاميه : أبو طالب (عليه السلام)

مات ابو طالب وأمر عقيدته ودينه شأنٌ يقع ما بينه وبين الله تعالى ، ولا يعد يعنينا الا بقدر الجانب النظري العلمي العقائدي والتاريخي ، أو قد يدفع بالنقاش فينا جانب الحب والبغض لولده الإمام علي ع ..

أمّا الذي يهمّنا اتجاه هذه الشخصية - التاريخية على الأقل - هي الجوانب التي تعود علينا بالنفع الديني والآخروي والأخلاقي ، الجوانب التي فيها تغذية راجعة وراجحة على إسلامنا وإيماننا هنا ، وثوابنا وعقابنا هناك ..! نحاول ذكر بعضها في نقاط :

١. الحق والإنصاف يحتّم علينا العرفان لهذه الشخصية التي لم تدّخر جهداً في حماية الرسول الأكرم صلوات الله عليه ومساندته ودعمه في بداية دعوته وانطلاق رسالته ، مما جعله في مأمن من اعتداءات قريش ، وهو القائل (ص وآله) : " ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب " . وتاريخية دفاع ابي طالب عن رسول الله من الثوابت ..

٢. يهمّنا سنّة رسول الله والائمة من بعده فيما يخص ابي طالب ، سواء كانت افعال الرسول اتجاهه ام أقواله وأقوال الائمة في حقّه والتي تُظهر عظمة هذه الشخصية وأهميتها ومدى اهتمام المعصومين بها ، حزن الرسول الأكرم على وفاته ، وافتقاده له بعد موته فقداً كبيراً الى الدرجة التي أسمى بها العام الذي توفي به ابو

طالب وأم المؤمنين خديجة بعام الحزن ، ووقف على قبره وقال : " **أَمَ واللَّهِ لأَستغفرنَّ لَكَ ولأَشْفَعَنَّ فيكَ شفاعةً يعجبُ لها الثَّقَلان "** .

٣. يهمّنا من هذه الشخصية تعلّم طريقتها وصلابة موقفها في الدفاع عن الدعوات الحقّة ، يهمّنا مستوى إيثارها وبذل كل مقدّراتها - مكانتها ووجاهتها ، قوتها ، تاريخها ، ... - مات أبو طالب في شعب أبي طالب وقد حاصره قومه حصاراً قاسياً ، اجتماعياً ونفسياً واقتصادياً حتى وافته المنية وهو على هذا الحال .

٤. يهمّنا استشعار الرضا على ابي طالب مادام رسول الله كان راضياً عنه ، ورضا الله من رضا رسوله الكريم .. وعين الرضا عن كل عيبٍ كليلة كما يقول الشاعر ..

■ ولكنَّ حمزة لا بواكي له

في اليوم (١٥ شوّال) سنة ٣ هج ، استشهد سيدنا الحمزة بن عبد المطلب في معركة أُحد ، وكان لإستشهاده وقعاً كبيراً على المسلمين عامة وعلى رسول الله صلوات الله عليه خاصة ، وذلك لما كان للحمزة عليه السلام دوراً كبيراً في قوّة الإسلام وعزّته ..

وتذكر الروايات : أنّ الرسول صلى الله عليه وآله مرّ على نساء بني عبد الأشهل لمّا فرغ من أُحد ، فسمعَهن يبكين على من أستشهد منهم بأحُد ، فقال رسول الله (ص) : **" ولكن حمزة لا بواكي له "** ..**!** فسمعها سعد بن معاذ فذهب إلى نساء بني عبد الأشهل فأمرهن أن يذهبهن إلى باب رسول الله فيبكين على حمزة ، فذهبن فبكين . فلم تبك امرأة من الأنصار بعد ذلك اليوم على ميّت إلا بدأت بالبكاء على حمزة ثم بكت على ميتها .

أقول : لا زال الحمزة عليه السلام لا بواكي له في الإسلام ، فذكره قليل والحزن عليه يكاد يكون معدوماً ، ولا زال العتاب النبوي يشملنا .. فلا بدّ أن نرفع هذه الظلامة عن أسد الله وأسد رسوله - وهذا هو لقبه - .

لا يقلّ دفاع الحمزة عن رسول الله وعن الإسلام عن دفاع أخيه أبي طالب سلام الله عليهما ، روي عن الامام علي بن الحسين زين العابدين (ع) أنه قال : **لم يدخل الجنة حميّة غير حمية حمزة بن عبد المطلب -وذلك حين أسلم- غضباً للنبي (ص)** ..

ومن مظلوميته ايضا : هدم قبره عليه السلام في عصرنا هذا ، هذا القبر الذي كانت سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام تزوره ، ترمه وتصلحه ، وقد علّمته بحجر .. كما في الخبر ، وكانت بنت الرسول (ص واله) تستعمل تربة حمزة كمسابيح ، فاستعملها الناس بعد ذلك .. ، وقال الشّيخ المفيد : وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر في حياته بزيارة قبر حمزة (عليه السلام) وكان يلمّ به وبالشّهداء ولم تزل فاطمة (عليها السلام) بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) تغدو الى قبره وتَرُوح والمسلمُون يَنتابُونَ على زيارتِهِ ومُلازَمَةِ قَبره . ومن عظم مصيبتنا به هو أنّ : وحشي - قاتل الحمزة غدراً - قام بشقّ بطنه وإخراج كبده ، فجاء بها إلى هند بنت عتبة بن ربيعة ، فمضغتها ، ثمّ لفظتها .. ثمّ جاءت فمثّلت بحمزة ، وجعلت من ذلك مسكتين ومعضدين وخدمتين حتّى قدمت بذلك مكة ، فلقّبت بـآكلة الأكباد - لعنة الله عليها -

اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا عَمَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا خَيْرَ الشُّهَداءِ ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا اَسَدَ اللهِ وَاَسَدَ رَسُولِهِ ، اَشْهَدُ اَنَّكَ قَدْ جاهَدْتَ فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ ، وَجُدْتَ بِنَفْسِكَ ، وَنَصَحْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَكُنْتَ فيما عِنْدَ اللهِ سُبْحانَهُ راغِباً ..

قول الإمام علي ع : (**فَإِنِّي وَلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ**)
(معنى مهمّ وتأريخ جديد لبعثة النبي ص وآله)

هذه العبارة وردت عن أمير المؤمنين ع ومذكورة في نهج البلاغة ، يصف بها ولادته من جهة جانب عقائدي وإيماني دقيق وهي (الفطرة) .. وخير من يعرّف لنا الفطرة هو أمير المؤمنين نفسه صلوات الله عليه في موقع آخر من كلامه في النهج ايضاً حيث يقول : (**وَكَلِمَةُ الإِخْلاَصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ**) .

ونحن نعرف أن كلّ مولود يولد على الفطرة كما قال رسول الله صلوات الله عليه (**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**) ، ولكن يختلف الحال مع ولادة أمير المؤمنين ، كون هذه الفطرة خرجت الى بيت توحيد ومعدن رسالة ومبعث نبوّة ولم تتلوث باي ملوّث عقائدي او شرائعي اطلاقاً ، وهذا ما يقرّ به كل أهل الإسلام بلا خلاف ولا اختلاف ، ويعبّرون عن ذلك بقولهم عند ذكر أسمه الشريف : كرّم الله وجه .. اي كرّمه بعدم عبادة واتّباع أي انحراف او باطل .

وهناك جزئية مهمّة وحساسة وغير مشهورة وغير مُلتَفت اليها ينتزعها ابن ابي الحديد في شرحه للنهج ينتزعها ويثبتها من قول أمير المؤمنين ع هذا - أي قوله ع : فإني ولدت على الفطرة - مفادها هو : أن نبوّة الرسول بدأت في العام الذي ولد فيه الإمام علي ، اي قبل عشر سنوات من بعثته في غار حراء ..!! ولنقرأ ذلك نصّاً من ابن ابي الحديد ونتأمّل جيدا :

.. ومراده هاهنا بالولادة على الفطرة أنه لم يولد في الجاهلية لأنه ولد عليه السلام لثلاثين عاماً مضت من عام الفيل و النبي ص أرسل لأربعين سنة مضت من عام الفيل وقد جاء في الأخبار الصحيحة أنه ص مكث قبل الرسالة سنين عشراً يسمع الصوت و يرى الضوء ولا يخاطبه أحد ، وكان ذلك إرهاصاً لرسالته عليه السلام ، فحكم تلك السنين العشر حكم أيام رسالته ص فالمولود فيها إذا كان في حجره وهو المتولي لتربيته مولود في أيام كأيام النبوة وليس بمولود في جاهلية محضة ففارقت حاله حال من يدعى له من الصحابة مماثلته في الفضل و قد روي أن السنة التي ولد فيها علي ع هي السنة التي بدئ فيها برسالة رسول الله ص فأسمع الهتاف من الأحجار والأشجار وكشف عن بصره فشاهد أنواراً و أشخاصاً ولم يخاطب فيها بشيء وهذه السنة هي السنة التي ابتدأ فيها بالتبتل و الانقطاع و العزلة في جبل حراء فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة وأنزل عليه الوحي وكان رسول الله ص يتيمن بتلك السنة وبولادة علي ع فيها و يسمّيها سنة الخير وسنة البركة وقال لأهله ليلة ولادته وفيها شاهد ما شاهد من الكرامات و القدرة الإلهية و لم يكن من قبلها شاهد من ذلك شيئاً : لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة وكان كما قال ص فإنه عليه السلام كان ناصره والمحامي عنه وكاشف الغماء عن وجهه و بسيفه ثبت دين الإسلام و رست دعائمه و تمهدت قواعده .

ختامها صلوات

صلاة أمير المؤمنين عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

اللهم اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ ، ونَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ورَسُولِكَ ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ والْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ ، والْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ والدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيل ، والدَّامِغِ صَوْلَاتِ الأَضَالِيلِ ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ ولَا وَاه فِي عَزْمٍ ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ حَافِظاً لِعَهْدِكَ مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ ، وأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ ، وهُدِيَتْ بِه الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ والآثَامِ ، وأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الأَعْلَامِ ونَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ ، وشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ ، ورَسُولُكَ إِلَى الْخَلْق .